كلنا سوريون
سياسية ثقافية نصف شهرية

١٥/أيار/ ٢٠١٤ | العدد ـ ٦ ـ السنة الأولى | ١٢ صفحة | newspaper.allsyrians.org

نحاول أن تكون فضاءً إعلاميّاً مفتوحاً على الشأن السوريّ، وتشارك السوريّين حياتهم في بلاد النزوح، ونسعى لأن تكون ساحة لتبادل الرأي وتبادل المعلومة، محاولة جادّة للمساهمة في صناعة إعلام سوريّ جديد وجدّي، يساهم بـدوره في صياغة وعي وطنيّ سـوريّ جامع، يؤسّس لصياغة الهويّة الوطنيّة الجامعة .

الخـروج مـن حـمص نصـر للمقاتلـين هزيمـة لقـادة الثـورة

أفرجـوا عن المـاء يـا أعـداء الحيـاة

عدسة: أشرف داغستاني

مديح الظلّ العالي* في حضرة حمص..... (كم كنت وحدك!)

ليست معركة حمص وحصار مدينتها القديمة كغيرها من أحداث ووقائع الثورة السوريّة، ٧٠٠ يوم من الحصار ومن الصمود الذي يقارب المستحيل، لا يمكن قراءته كما نقرأ أيّة معركة أخرى، بتكثيف شديد ما حصل في حمص القديمة يمثّل إلى حدّ كبير جوهر وحقيقة الثورة السوريّة.

بعيداً عن التفاصيل العسكريّة ووقائع الموت جوعاً وعطشاً وقصفاً بكلّ أنواع الأسلحة بما فيها الكيماويّ، وبعيداً عن تواطؤ العالم وتخاذله وصمته... بعيداً عن كلّ هذا، ثمّة حقيقة واضحة وبسيطة تتلخّص ببضع مئات من الشباب السوريّين الذين لا يعرفون من الثورة السوريّة إلّا وجهاً واحداً، وهو أنّهم سوريّون وأنّهم يعشقون سوريا وأنّهم سيدافعون عن حلمها حتّى الموت.

الذين قاتلوا داخل حمص هم سوريّون كلّهم وبدقّة أكثر هم أبناء حمص، وهم وبنسبة ساحقة في العشريّنات من أعمارهم، شباب لا يعرفون الأحزاب السياسية ولا دجل السياسيّين ولا كواليس السفارات والمخابرات، هم يعرفون فقط زواريـب حمص وأصوات مآذنها وأجراس كنائسها ويعرفون كما كلّ (الحماصنة) كيف يجعلون من الحياة مهما تكن قسوتها فرحاً لا يُحدّ.

هؤلاء هم من خاض هذه المعركة حتّى نهاياتها، ٧٠٠ يوم لم يستسلموا ببساطة لأنّ الاستسلام ليس خياراً أمامهم، بصيغة أخرى هم لا يعرفون أنّ بإمكانهم الاستسلام، لا يعرفون سوى أنّ حمص التي تُلخّص سوريا هي لحمهم ودمهم وذاكرتهم وأطفالهم وأهلهم ومستقبلهم، وهنا يصبح الاستسلام مفردة لا معنى لها.

في قراءة لطرفيّ هذه المعركة المصغّرة في حمص يمكننا أن نقرأ المعركة في لوحتها الكبرى، في الطرف الأوّل تقف الثورة السوريّة ممثّلة بمئات الشباب الذين يحلمون بوجه آخر لسوريا، وفي الطرف الآخر يقف النظام مدجّجاً بكلّ أنواع الأسلحة وبكلّ ألاعيب اللصوص، ويقف معه مرتزقته من كلّ أنحاء العالم.

لا يريد العالم، كلّ العالم (السياسيّون ـ الحكومات ـ المصالح...) لهذه الصيغة من الثورة أن تنتصر، هم يريدون ثـوّاراً على شاكلة السياسيّين الذين يتنقلون بين الفنادق والسفارات، فهؤلاء يساومون، يبيعون ويشترون، أمّا هؤلاء الذين يقبضون على حلمهم باستماتة لا يعرفون هذه المهارات، هم يعرفون فقط أنّهم سينتصرون... سينتصرون لحلمهم ولجوعهم ولأطفالهم ولأهلهم الذين قُتلوا وذُلّوا وانتهكت كراماتهم لعقود طويلة، هم يدركون جيّداً أنّهم أمام خيارين فقط ينتصرون أو يموتون، وهم يعرفون أيضاً أنّ موتهم يعني موت الحلم لأهلهم ولبلدهم، لذلك لا خيار أمامهم إلّا أن ينتصروا.

عندما خرج الفلسطينيّون من بيروت في عام ١٩٨٢ كان العالم كلّه يتفرّج على إجهاض حلم لكثيرين في العالم، وليس للفلسطينيّين فحسب، وحتّى لا يولد هذا الحلم مرّة أخرى فتدمنه الشعوب، اقتُلع الفلسطينيّون ورُمي بهم بعيداً عن أرض الحلم.

أمّا في حمص القديمة فالأمر مختلف، هذا الحلم الذي حرسه ثوّار حمص ضاقت به حمص القديمة فخرج إلى مساحات سوريا كلّها.

على بعد كيلومترات من مكان ولادة حلمهم الحقيقيّ يقف الآن ثوّار حمص ليعيدوا صياغة طريقهم ليس إلى حمص القديمة فقط بل الى قلب وعمق الثورة السوريّة على كامل مساحة سوريا.

سيحاول العالم كلّه الآن أن يُجهض حلم الخارجين من حمص، هذا الحلم الذي حملوه وحموه، لم يقبلوا أن يتنازلوا عن أيّ جزء منه، سيتواطأ النظام وتجّار الحروب وتجّار الطوائف وواجهات الهياكل السياسيّة والعسكريّة السوريّة عليه، إذْ لا أحد له مصلحة في هذه الأحلام إلّا الشعوب المقهورة، لذا فسيعملون سريعاً على وأدها.

الآن يمكن القول: إنّ وجهاً جديداً للثورة السوريّة يتّضح بكلّ أبعاده، هل سيتمسّك به كلّ السوريّين؟؟ وجهٌ صاغه وحرسه بأمانة بضع مئات من شباب سوريا طوال ٧٠٠ يوم.

في حضرة حمص...

في حضرة حصار حمص...

في حضرة كلّ هذا الدمار، وكلّ هذا الموت، وكلّ هذا الصمت، وكلّ هذا التواطؤ، يقف السوريّون اليوم أمام حلمهم الحقيقيّ الذي دافع عنه ثوّار حمص بكلّ بسالة وعمّدوه بكلّ الألم والدم والتضحيات والصبر الذي لا يمكن تخيّله.

أيّها السوريّين هذه هي أمانتكم، هذه هي ثورتكم، هذا هو حلمكم محمولاً على أكتاف الخارجين من الحصار مُصاناً وبهيّاً، هذا الحلم هو كعبتكم يمّموا وجوهكم إليه....

*عنوان قصيدة لـ«محمود درويش» عن خروج الفلسطينيّين من بيروت عام ١٩٨٢

بسّام يوسف

حمص غادرها مقاتلوها ضمن صفقة

The New York Times

ص ٢

وفي يوم الأربعاء الماضي سُجّل سقوط آخر الأحياء في حمص القديمة بأيدي قوّات النظام حيث خرج منها آخر من تبقى من المقاتلين مع أسرهم بواسطة صفقة يمكن اعتبارها رمزيّة لكلا طرفيها. تسعى الحكومة جاهدة لإثبات قدرتها على استعادة المدن والأحياء عبر استخدامها للقوّة الغاشمة من جانب، وعبر استخدام الحوار والمفاوضات من جانب آخر. **ترجمة مها الخضّور**

ارموا السوريّين بالبحر

ص ٣

من هذه العوامل وغيرها نجد أنّ شعبنا أرادوا له أن يكون شعباً فلسطينيّاً جديداً. يحمل مأساته وتغريبته لأنّه بثورته تجاوز الخطوط الحمراء للبنية العميقة للنظام الدوليّ والاقليميّ المؤسّس إسرائيلياً ونفطيّاً. أصبح شعبنا بين خطرين خطر السلطة الاسديّة وخطر الإرهاب المتعشّق معها. فطُرحت قضية المرجعيّات من جديد. **غسان المفلح**

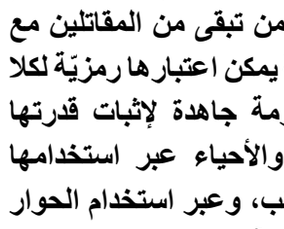

حمص العديّة مراة السوريين

ص ٣

خرج أبناء حمص القديمة من حاراتهم ليظهر علناً كذب وتلفيق النظام وادّعاءاتـه، بوجود غرباء وجهاديّين من بلدان مختلفة بينهم، خرج رجال حمص وما تبقّى من عائلاتهم ليتبيّن أنّهم جميعاً حماصنة منذ الأزل، ولم يحملوا معهم سوى كيس ملابسهم وسلاحهم الفرديّ، لتتحوّل المدينة بعد خروجهم إلى سبيل مفتوح لكلّ ناهب ولصّ وسارق فتصبح المدينة المُستباحة بامتياز.

د. خولة حسن الحديد

أم الحجار السود نصر المقاتلين.. هزيمة قادة الثورة

ص ٦

لم تكن هذه طرفة حمصيّة لشخص من هذه المدينة التي طالما عُرفت بالطرائف، لكنّها كانت حالة واقعيّة لشابّ لم يبلغ العشرين بعد، وقضى في حمص المحاصرة أكثر من سنتين في ظروف إستثنائيّة بكلّ المقاييس، حيث لا وجود لأيّ ملمحٍ من ملامح الحياة الطبيعيّة التي اعتادها في يوميّاته ما قبل الحصار.

مالك داغستاني ـ ابراهيم بيرقدار

بين الاتهامات المتبادلة والحلول الغائبة .. حلب عطشى والشارع يغلي غضباً

ص ٥

تعيش مدينة حلب حالة يصحّ وصفُها بالمأساة الإنسانيّة بعد مرور أكثر من عشرة أيّام على انقطاع المياه عن كامل المدينة بقِسميها اللذين يخضعان انتصافاً نسبيّاً بين سيطرة قوّات النظام وكتائب المعارضة المسلّحة ممّا يُجبر المدنيّين في الطرفين على البحث عن مصدر آخر للماء.

عارف حاج يوسف

ترنيمة سورية في السويد

ص ٤

أقدم مقطوعة موسيقيّة في تاريخ البشريّة، والتي كُتبتْ نوتتها الموسيقيّة عام ١٤٠٠ قبل الميلاد باللغة الأوغاريتيّة على لوح فخاريّ، سيقدّمها المؤلّف الموسيقيّ السوريّ «مالك الجندلي»

كلّنا سوريون

التسوية السياسيّة بعيداً عن التحرير والتطهير

ص ٢

ماذا يعني ذلك الخروج لما يقارب الألفي شخص من حمص القديمة، من مسلّحين مع أسلحتهم الخفيفة وماتبقى فيها من مدنيّين، مقابل الافراج عن بعض ضبّاط النظام الأسرى لدى لواء التوحيد وإدخال المساعدات الانسانيّة لبلدتي نبّل والزهراء، هل هو انتصار للنظام؟

لؤي حاج بكري

تحقيقات العدد

أم الحجار السود نصر المقاتلين... هزيمة قادة الثورة ص ٦

يوميات حمص ... الحصار ص ٧

حمص... غادرها مقاتلوها ضمن صفقة

ذا نيويورك تايمز
آن برنارد

(ساهم في إعداد التقرير: مايكل .ر. غوردون من واشنطن،
محمّد غنام وهويدا سعد من بيروت)

كلنا ـ تصدّت حمص منذ فترة طويلة لوحشيّة النظام وأصرّت على البقاء في الطليعة حاملة قضيّة شعبها

ـلا تقدّم صفقة حمص حلاّ شاملاً لبلد عانى لمدّة تزيد عن ثلاث سنوات من القتال، وأجبر الملايين على ترك منازلهم، حلّا لمعالجة الأسباب الحقيقيّة

حمص هي ثالث أكبر مدينة سوريّة ومن أوائل المدن التي عمّت شوارعها المظاهرات الكبيرة ضدّ الرئيس السوريّ بشّار الأسد، كما أنّ مقاتليها كانوا أوّل من حمل السلاح ضدّ النظام، وأحياؤها أوّل الأحياء التي تعرّضت للقصف العشوائيّ من قبل القوّات الحكوميّة.

تصدّت حمص منذ فترة طويلة لوحشيّة النظام وأصرّت على البقاء في الطليعة حاملة قضيّة شعبها رغم ازدياد الانقسام الطائفيّ لسكّانها، فقد فرّ منها الكثيرون ودُمّرت أحياؤها ولكنّ المقاتلين أصرّوا على البقاء في المدينة القديمة.

صفقة معقدة

وفي يوم الأربعاء الماضي سُجّل سقوط آخر الأحياء في حمص القديمة بأيدي قوّات النظام حيث خرج منها آخر من تبقى من المقاتلين مع أسرهم بواسطة صفقة يمكن اعتبارها رمزيّة لكلا طرفيها. تسعى الحكومة جاهدة لإثبات قدرتها على استعادة المدن والأحياء عبر استخدامها للقوّة الغاشمة من جانب، وعبر استخدام الحوار والمفاوضات من جانب آخر.

أمّا بالنسبة للمعارضة فإنّ تسليم منطقة تعتبر جيباً مهمّاً وبعد الصمود مدّة عامين تقريباً، يشكّل ضربة بالمعنى الوجدانيّ. إلّا أنّ هذه الصفقة يصعب اعتبارها نصراً حقيقيّاً للحكومة أو هزيمة كاملة للمقاتلين في نفس الوقت فقد سُمح للمقاتلين بالخروج حاملين معهم أسلحة خفيفة إلى ملاذٍ آمن وهم يتوعّدون بمواصلة المعركة، ممّا يوحي ببدء التقسيم في البلد حيث يرفض الجانبان المضيّ في تسوية واسعة النطاق لإخماد الحرب التي راح ضحيتها أكثر من ١٥٠ ألف شخص.

ورغم خروج المقاتلين، كان ممثّلو المعارضة في واشنطن يطالبون بشدّة بأسلحة نوعيّة لإسقاط الطائرات الحكوميّة، كما أنّ الحكومة السوريّة استمرّت في ترتيب الاستعدادات اللازمة للانتخابات التي ستؤكّد بقاء الأسد على رأس السلطة في البلاد.

وفي حديث صحفيّ لأحمد عاصي الجربا رئيس الائتلاف السوريّ المعارض من واشنطن مساء الثلاثاء قال: «نحن لا نطلب من أصدقائنا أن يرسلوا أبناءهم للقتال في بلدنا، كما أنّنا لا نطلب منهم التدخّل المباشر أو حتّى ضربة جوّيّة، بل نطلب فقط أسلحة مضادّة للطائرات من أجل تحييدها وتفادي البراميل المملوءة بالشظايا والمتفجّرات التي تلقيها فوقنا، ولدينا خطط وضمانات لعدم وقوع هذه الأسلحة في الأيدي الخطأ».

عُقدت صفقة حمص بين مسؤولين في المخابرات السوريّة وممثّلين عن المقاتلين وبحضور سفير إيران في سوريا حيث دعا المقاتلين في محافظة حلب لرفع الحصار بالسرعة القصوى عن قريتي نبّل والزهراء اللتين وقعتا تحت الحصار منذ مدّة طويلة، هذا حسبما أطلعنا بعض النشطاء المقرّبين من المقاتلين الذين شاركوا في الاتّفاقيّة.

إنْ نجحت الصفقة حسبما تمّ الاتفاق فمن الممكن اعتبارها الصفقة الأكثر تعقيداً وعلى مدى بعيد بين طرفي النزاع، فقد فشلت محادثات السلام الدوليّة في جنيف في وقف إطلاق النار رغم الاتفاقيّات الهشّة في أماكن مختلفة داخل البلاد حيث تطالب الحكومة بالمصالحة ولكنّ المقاتلين يرون ذلك استسلاماً لمخطّطات التجويع والقصف العشوائيّ.

لا تقدّم صفقة حمص طريقة حلّ شامل لبلد عانى لمدّة تزيد عن ثلاث سنوات من القتال، وأجبر الملايين على ترك منازلهم، كما أنّها لم تقدّم حلّا لمعالجة الأسباب الحقيقيّة وراء المعارضة بجميع أطيافها كالمظالم السياسيّة والقمع المتأصّل في البلد ومن ثمّ التشريد الجماعيّ للسكّان والقصف الذي شلّ المدن وقلبها رأساً على عقب.

المدينة القديمة الجميلة قُصفت بشراسة من قِبل الحكومة وزُرعت شوارعها بالألغام، وفي أماكن كثيرة منها حُرقت قبل خروج المقاتلين، والآن يغادرها آخر من تبقى من سكّانها باستثناء ستّ عائلات مسيحيّة استطاعت

عدسة: أشرف داغستاني

الصمود في ظلّ الحصار الخانق والبقاء جنباً إلى جنب مع المقاتلين والمدنيّين السنّة بغالبيّتهم. وقد خطّطوا للبقاء مع عائلة سنّيّة واحدة حسب أقوال الناشط بيبرس تلّاوي الذي ألقى باللوم على القوى الدوليّة وقادة المعارضة لتقاعسهم عن نصرة حمص، وقال إنّهم الآن جُرّدوا من كلّ حقوقهم تماماً مثل الفلسطينيّين ولكن هذه المرّة على يد «ابن البلد» كما قال.

حضور إيراني لافت

بكى بعض المقاتلين وقبّلوا الأرض قبل أن يستقلّوا الحافلات التي ستأخذهم بإشراف الأمم المتّحدة إلى الوجهة المتّفق عليها. ممتلكاتهم تنحصر في كيس حمله كلّ واحد منهم بالإضافة إلى بنادقهم. أغلب من غادروا كانوا من سكّان مدينة حمص الأصليّين الذين ودّعوا منازلهم المدمّرة وجثث من مات من أصدقائهم بعد أن كتب بعضهم على الجدران «عندما أغادر أريدكم أن تتأكّدوا أنّي بذلت قصارى جهدي للبقاء ولكنّي لم أستطع». وصرّح أحد المقاتلين والذي عرّف عن نفسه باسم حركيّ «أبو بلال» قائلا: «لقد انتهت المعركة ولكنّ الجهاد مستمرّ». رقّ صوته وهو يتحدّث عن حديقته وحدثنا عن اللفت والملفوف والكوسا والفول والقرع التي زرعها في تربة جهّزها على أحد الأسطح التي استحوذ عليها، وقال إنّها لم تنضج بعد ليأكل من ثمارها، ثمّ أضاف: «سأفتقد لأشياء كثيرة هنا وليس فقط ما زرعت».

على أيّة حال، فإنّ هذه الصفقة تعتبر الأوسع والأكثر طموحاً بالنسبة للحكومة السوريّة حتّى اللحظة، وقد شملت أوّل حضور معلن لإيران ـ أهمّ حليف للأسد ـ في هذه المحادثات التي دعمت وقوّت موقف الحكومة كما أخبرنا أحد المفاوضين عن المقاتلين والذي استخدم اسم «أبو الحارث» للتعريف عن نفسه مضيفاً: «اليد العليا والأمر برمّته بيد الإيرانيّين».

وخارج حمص ظهرت نتائج الاتفاق بعد ظهر اليوم الأربعاء، فقد ذكرت المواقع الموالية للنظام أنّ المتمرّدين أفرجوا عن ١٥ جنديّاً حكوميّاً في مدينة حلب وأكثر من ١٠٠ امرأة وطفل من الطائفة العلويّة احتُجزوا كرهائن في محافظة اللاذقيّة الساحليّة.

انقسام في صفوف المعارضة وتململ في الموالاة

وعلى الرغم من عدم التوازن في الطاقة الحيويّة لطرفيّ النزاع، حيث عُزل المقاتلون وجوّعوا إلّا أنّ الحكومة أعلنت عن رغبتها في تقديم حمص كدليل على أنّه لا زال هناك وقت لتسوية الصراع محلّيّاً دون الحاجة لمحادثات السلام الدوليّة. بالإضافة إلى ذلك فإنّ الحكومة تريد أيضاً إعلان المدينة آمنة قبل الانتخابات التي احتجّ عليها المعارضون وقالوا إنّها ليست سوى مهزلة.

وقال نشطاء معارضون للحكومة إنّ الحكومة نفسها رضخت لضغوط من الموالين لها من غير السنّة المقيمين في مناطق تحت سيطرة النظام حيث ضُرب أحد تلك الأحياء بسيّارات مفخّخة ممّا أودى بحياة عشرات المدنيّين. وقد ارتبطت بعض تلك الهجمات ارتباطاً مباشراً بمطلب رفع الحصار عن المدينة القديمة. وقد صرّحت منظّمة هيومان رايتس ووتش أنّ: «مثل هذه التكتيكات تقوّض الدعم الشعبيّ للمعارضة». ولكنّ الاتّفاق ينطوي أيضاً على مخاطر سياسيّة بالنسبة للحكومة، فأفراد الميليشيا الموالية للحكومة وآخرين معهم شجبوا هذا الاتفاق الذي سمح لقاتلي أبنائهم وأقاربهم بالفرار من قبضتهم كما قالوا.

وقد حرصت وسائل الإعلام الحكوميّة على تكرار عبارة «إجلاء المسلّحين من المدينة القديمة» وهم بذلك قد تخلّوا عن التسمية المعتادة «الإرهابيّين» عندما يتحدّثون عن المعارضة المسلّحة، وهذا لربّما كان نتيجة تحسّبهم أمام الموالين كي يبرّروا إطلاق سراح «الإرهابيّين» والسماح بفرارهم.

كما أنّ هذه الصفقة أظهرت أيضاً انقساماً واضحاً في صفوف المعارضة، فكثيرون من المعارضين عبّروا عن خيبة آمالهم حيال استجابة المقاتلين في حلب وفي أماكن أخرى لإطلاق سراح الأسرى على أرضيّة بنود الاتفاقيّة بينما كانوا قد صمّوا آذانهم عن النداءات والاستغاثة المتكرّرة التي أطلقها المقاتلون المحاصرون في حمص طوال أشهر دون أيّ ردّ. وهناك من المقاتلين من أغضبته هذه الصفقة كثيراً وعبّروا عن ذلك بقولهم: «هذا النظام الفاجر يجب حرقه، لا أن نعقد معه اتفاقيّات». كما جاء على لسان «عبد» أحد مقاتلي كتيبة أحرار الشام في محافظة حلب.

عدسة: أشرف داغستاني

وفي حديثنا مع أحد الجنود عبر الهاتف قال: «إنّ المتمرّدين التزموا بوقف إطلاق النار ولا توجد أيّة متاعب حالياً» وأضاف أنّهم يعيشون حالة من الاسترخاء بما يكفي للعب الورق وتناول مشروب المتّة الشعبيّ ثمّ قال: «أريد أن أعود إلى دمشق لقد اشتقت لوالدي كثيراً».

وفي شمال حمص قال أحد النشطاء المعارضين للنظام إنّهم يخشون من هجوم في الفترة المقبلة، كما قال: «إنّ الأهالي استضافوا مقاتلي المدينة القديمة الطيّبين والمنهكين»، وأضاف أنّ أحد السكّان المحليّين أخبره أنّ ضيفه من المقاتلين الحماصنة كان سعيداً جدّاً لرؤية البندورة ومن ثمّ أخذ حبّة منها واحتفظ بها بعد أن قبّلها قائلا: «هذه ستنام بقربي اليوم».

وقال مصطفى عبود، مسؤول محلّيّ في منطقة حمص إنّه أصيب الأسبوع الماضي بانفجار سيّارة مفخّخة، وعبّر عن ترحيبه بعمليّة الإجلاء قائلا: «أشعر بالرغبة بسماع الموسيقى وتغريد العصافير» مشيراً إلى عدم وجود أيّ إطلاق نار ولكنّه قال: «إنّ بعض الشائعات حول السيّارات المفخّخة تسري بسرعة فيخاف الناس وتخلو الشوارع من المارّة خلال دقائق ولكنّي لا أقتنع بوجود المطر حتّى أراه بعينيّ».

ترجمة: مها الخضّور

التسوية السياسيّة بعيداً عن التحرير و التطهير

ماذا يعني ذلك الخروج لما يقارب الألفي شخص من حمص القديمة، من مسلّحين مع أسلحتهم الخفيفة وماتبقى فيها من مدنيّين، مقابل الافراج عن بعض ضبّاط النظام الأسرى لدى لواء التوحيد وإدخال المساعدات الانسانيّة لبلدتي نبّل والزهراء، هل هو انتصار للنظام؟ أم حفاظ على من بقي في الموقع المحاصر منذ عامين؟ وهل يشكّل ذلك تنازلاً معيّناً في الأهداف المعلنة من الجميع، أم أنّه ذو أبعاد تكتيكيّة صرفة؟

للحديث عن الاتّفاقات والتفاهمات التي حصلت حتّى اليوم، وعن احتمالاتها اللاحقة، لابدّ من التنويه للاستعصاء القائم عسكريّاً، في ظلّ غياب أيّة إمكانيّة للحسم مع تزايد حجم الخسائرالواقعة في معظم المناطق، فمنذ تلك الاتّفاقات الأولى التي جرت في الغوطة الشرقيّة لرفع العلم الممثّل لسيطرة النظام مقابل دخول بعض الأطعمة والأدوية، تبدو المنطقة الممتدّة من دمشق إلى اللاذقية ذات أهميّة خاصة للنظام، حين تتعرّض مبادرة أهالي حلب للتوقّف عن القصف بالبراميل مقابل إعادة الكهرباء للنقض السريع من قبل النظام، وحين لايشكّل لديه انقطاع المياه عن تلك المدينة أيّ اهتمام يذكر، مؤشّرات قويّة يراها البعض حقيقة واقعة باتجاه التقسيم الذي لاينقصه سوى الإعلان النهائيّ، فيما تدلّل المعارك المحتدمة في حلب ودرعا وسواهما على التمسّك التامّ للنظام بالسيادة على كامل الجعرافيا السوريّة بعيداً عن أيّ مشروع مستند إلى تلك الرؤية، لاشكّ بأنّ العديد من أهالي حمص والسنّة تحديداً سيعودون إلى منازلهم، وربّما يستطيع النظام إعادة بعض من الحياة إلى تلك المدينة التي شهدت الدمار الأكبر، ولكنّ ذلك قد لايعني سوى تقدّماً نسبيّاً في موقع محدّد، فالنظام الذي تعرّض بُعيد الخامس من آذار لثورة حقيقيّة تمثّلت في الامتداد المتسارع للمظاهرات المطالبة بإسقاطه، وبلوغها شكلاً شعبيّاً عارماً كما في حماه ودير الزور، تمكّن سواء عبر مستشاريه السوريّين أو غير السوريّين من تجاوز تلك الحالة ليستمرّ حتّى موعد الانتخابات الرئاسيّة وتجديد شرعيّته، إنّ ماحقّقه النظام في السنوات الثلاثة الماضية، بدءاً من إطفاء جذوة الثورة في مدينة حماه، وإقامة مناطق آمنة من اللاذقيّة إلى طرطوس ، وتطهير بعض المناطق من سكّانها كما في بانياس والقصير وبيرود، والتركيز على السيطرة المطلقة على مدينة حمص، والتحييد المستمرّ للمكوّنات الاجتماعيّة من غير العرب السنّة، قد شكّل مخرجاً مهمّا لبقائه، ودفع إلى ضعف الفعل الشعبيّ للثورة، وكرّس إنقساماً واضحاً في أوساط السوريّين، ففي المناطق الواقعة تحت سيطرة النظام وفي المدن الكبرى بخاصّة، إستكان الكثيرون وإرتفعت أصوات العداء للثورة في ظلّ انفلات قوّات النظام وميليشياته، التي تطال حتّى مجرّد التفكير بمخرج وطنيّ شامل، بالاعتقالات والتصفيات الجارية بحقّ الناشطين المدنيّين على مختلف اتجاهاتهم، في حين يقبع الآخرون في مناطق سيطرة كتائب المعارضة المسلّحة تحت جحيم البراميل الموت والدمار، بالنظر إليهم كحواضن بشريّة لا مجال أمامهم سوى الموت أو النزوح، بالمقابل فإنّ قوّات المعارضة، وبغضّ النظر عن تبعثرها وإنفصالها عن القوى السياسيّة، وبغضّ النظر عن تأثّرها بأجندات المموّلين وسيطرة المجاهدين غير السوريّين على بعض تشكيلاتها، وما تسبّبه تلك المعضلات من إقتتال فيما بينها تنازعاً للسيادة على المواقع المحرّرة، فإنّها قد أصبحت قوّة أساسيّة في وجه النظام، وربّما أكثر عدداً، وأكبر عزيمة، رغم الاختلاف في التسليح وكميّته ونوعيّته، كما أصبحت أكثر قدرة على إدارة المعارك وعلى كامل المساحة السوريّة، فإذا كان الانسحاب الذي حصل من مدينة يبرود، نتيجة للكثافة العسكريّة في قوّات حزب الله والنظام على تلك المدينة، قد أُتبع بفتح جبهة الساحل والسيطرة على مواقع مهمّة في كسب ومحيطها، وبالتقدّم الذي حصل حلب في عدّة محاور، فإنّ الانسحاب الذي حصل من أحياء حمص القديمة نتيجة لمعطيات عسكريّة أقسى، قد يدفع لاحقاً لفتح جبهات متوقّعة أو غير متوقّعة، إنّ تلك التسوية العسكرية التي تكلّلت أخيراً بالنجاح، قد تكون بداية نحو نموذج جديد من التسويات التي تفتح الطريق لمتغيّرات من نوع مختلف، فإذا كانت التسوية السياسيّة في جنيف قد فشلت أمام تعنّت النظام، فإنّ قبوله بهذا الشكل من التسويات يمثّل تخلّياً فعليّاً عن مبرراته التي ساقها لتطهير البلاد من الإرهاب، كذلك فإنّ ماحصل بالانتقال من الشكل السلميّ للثورة نتيجة مجابهتها بالرصاص الحيّ وماقام به النظام من قتل وتدمير، لايمكن أن يمثّل القبول بهذه التسويات من جانب المعارضة المسلّحة إلّا ترجعاً عن مفهوم تحرير البلاد من الاحتلال الأسديّ، فهل تكون تلك التسويات مقدّمة للعودة نحو التسوية السياسيّة بعيداً عن التحرير والتطهير، في ظلّ إصرار المجتمع الدوليّ على التمسّك بها كمحرج وحيد لابديل عنه.

لؤي حاج بكري

ارموا السوريّين بالبحر

احتكار وهيمنة الخطاب الفكريّ الثقافيّ والسياسيّ ذو الطابع الاستعباديّ من قبل السلطتين الدينيّة والسياسيّة.

الدولة أهمّ ما في تأسيسها أنّها مرجعيّة مواطنيها، لكن عندما تُغتصب الدولة رمزيّاً ووظيفيّاً، من قبل سلطات فاسدة وفاشيّة كالنظام الأسديّ، يصبح الانتماء لهذه الدولة انتماء للقاتل، لأنّه جعل من الدولة جهازاً يدافع به عن فساده.

مرجعيّة الدولة تتعلّق بشعور وبلا شعور جمعيّ، وفرديّ بالآن معاً، إحساس بالانتماء والأمان والأمن والمستقبل. هذا الامر جعله فساد الأسد ووحشيّة نظامه، ممزّقاً وعارياً أمام التحدّيات. لأنّه لا يمكن أن يتعايش قاتل مع قاض. الدولة هي التي من المفترض أن تحكم على ممارسات الاشخاص وليس العكس. لهذا هي مرجعيّة عبر مؤسّساتها القضائيّة والدستوريّة. القضاء تعيّنه المخابرات الأسديّة والدستور يتغيّر بظرف خمس دقائق مرّتين. هذه ليست دولة، ولم تكن بحياتها الحدود الجغرافيّة هي الدولة. عندما خرج شعبنا بثورته ومن أجل حرّيّته أراد إعادة الاعتبار لسورية الدولة وللتخلّص من سورية الأسد. سورية الأسد تعني سورية هتك كلّ المرجعيّات الوطنيّة. تعني البحث عن مرجعيّات جديدة، خاصّة بعد كلّ هذا القتل والدمار. من وقف مع الأسد كانت مرجعيّته آل الأسد، مرجعيّته القتل والفساد والشرخ الوطنيّ. لكن ماحدث للثورة والموقف الدوليّ وعوامل أخرى، جعلت صورة الشعب مبعثرة، لأنّ تمثيلاته السياسيّة والعسكريّة تبعثرت. وأدخل جميع الإرهاب الجهاديّ ليكون طرفاً في زعزعة هذه الصورة التمثيليّة للحرّيّة.

من هذه العوامل وغيرها نجد أنّ شعبنا أرادوا له أن يكون شعباً فلسطينيّاً جديداً. يحمل مأساته وتغريبته لأنّه بثورته تجاوز الخطوط الحمراء للبنية العميقة للنظام الدوليّ والاقليميّ المؤسّس إسرائيليّاً ونفطيّاً. أصبح شعبنا بين خطرين خطر السلطة الاسديّة وخطر الإرهاب المتعشّق معها. فطُرحت قضية المرجعيّات من جديد. في سورية هنالك من يقول إنّ الأقليّات بعضها لم يشارك بالثورة لأنّ الثورة لم تعطه الأمان وهذا محض افتراء على التاريخ ورياء، يصبّ في مصلحة الأسد.

السُّنّة في سورية كالسُّنّة في أيّ مكان من هذا العالم، بلامرجعيّة- كهنوتيّة- تجعل كلّ من هبّ ودبّ يريد أن يكون مرجعيّة، سواء كانت سلطات أو تنظيمات سياسيّة وأحياناً أشخاص!! لدينا ثلاثة أطراف تتنازع مرجعيّة سُنّيّة دينيّة والتي من المستحيل إنشاؤها، فما بالنا بمرجعيّة دنيويّة أيضا!! في أفق نظام دوليّ أمريكيّ. بعض السلطات الإسلاميّة، الإخوان المسلمون، التيار الجهاديّ- السلفيّ واختلاطاته القاعديّة المحمولة على احتراف جهادي- استخباراتيّ عابر للوطنيّات. المرجعيّة على مستوى العلاقات الدوليّة، عندما تمطر في «قمّ» تحمل غالبيّة التنظيمات الشيعيّة الشمسيّة في العراق ولبنان. كما كانت موسكو من قبل. السُّنّة تأسيساً لا مرجعيّة كهنوتيّة لهم. ولم تكن تعنيهم هذه المسألة في السابق، إلّا بعد ظهور المشروع الإيرانيّ في المنطقة. رغم محاولات العديد من فقهاء السُّنّة اللعب على هذا الوتر سياسيّاً، ومحاولات الإخوان المسلمين تأسيساً أن يكونوا هذه المرجعيّة، محاولات الأزهر أيضاً باءت بالفشل لأسباب سياسيّة بالدرجة الأولى، كذلك الحال على مستوى بعض المشايخ في دول الخليج.

هل مطلوب من السُّنّة أن يتحوّلوا إلى طائفة إسلاميّة بمرجع كهنوتيّ واضح؟ كما حدث مع مجيء ولاية الفقيه الخمينيّة؟ هل يحتاجون إلى وليّ فقيه معصوم كـ»الخامنئيّ»؟أم إلى خليفة معصوم أيضا كـ»أيمن الظواهريّ» سليل الاستخبارات الدوليّة؟ ولدينا كلّ الروؤساء والملوك العرب معصومين، ماعدا تونس والعراق ولبنان واليمن. هذا لايعني أنّ «نوري المالكي» لايحاول أن يكون وليّاً فقيهاً عراقيّاً!! في إيران ولدى من يواليها من الشيعة في العالم مرجعيّة واحدة دينيّة ودنيويّة، متمثّلة في الوليّ الفقيه. الوليّ الفقيه يمتزج فيه مشروعان الأوّل إيرانيّ قوميّ والثاني شيعيّ إيرانيّ، ربّما يزيد الطموح قليلاً نحو مشروع ثالث إيرانيّ إسلاميّ. هذا المشروع ما كان له أن يرى النور دون أداته الطائفيّة، التي استخدمها بأموال النفط الإيرانيّ، لتمويل كلّ القوى الطائفيّة التي انتجها هذا المشروع. في لبنان والعراق واليمن والبحرين وباكستان وأفغانستان. لأنّها وقعت الواقعة الطائفيّة، وكان أداء العالم السُّنّي بكلّ سلطاته، رغم كلّ التهويشات اللفظيّة، إلّا أنّه أداء بقيت تتحكّم به سياقات أنّه ليس للسُّنّة مرجعيّة دينيّة أو دنيويّة واحدة. ليس مطلوباً أن تكون. القرار الإيرانيّ الشيعيّ مركزيّ، بينما القرار السُّنّي المواجه- كما يُفترض بلعبة الفتنة المفروضة وفقاً للمشروع الايرانيّ- مشتّت ومتعدّد ومنقسم بين أعداء سياسيّين وغير سياسيّين في أحيان كثيرة. ممّا جعل الفتنة الطائفيّة كما تسمّى، تجعل الدم السُّنّيّ فيها رخيصاً. أوّلاً إنّ الطرف الإيرانيّ فقهيّاً وسياسيّاً الذي يقتل ويتعامل معه كونه طرفاً سُنّيّاً!! لأنّه هو صاحب المشروع في العراق ولبنان والبحرين واليمن. ثانياً لايوجد مشروع سُنّيّ في المنطقة، ولن يوجد. لهذا السُّنّة لا يمكن أن يكونوا طائفة. حتّى أقليّاتهم في دول أخرى لاتجد لهم مرجعيّة دينيّة ودنيويّة واحدة، لأنّ هذا يتنافى مع أبجديّات التفسيرات(السُّنّيّة) للقرآن والسُّنّة أيضاً. كما أنّ إيران هي الدولة الوحيدة التي في نظامها ودستورها مرجعاً يحكمها دينيّاً ودنيويّاً. بينما هذه لا تجدها في أيّ دولة غالبيّة سكّانها من السُّنّة. لايوجد في دستور أيّة دولة منها أنّ الملك أو الرئيس معصوم عن الخطأ. صحيح تجد القائد الخالد والرئيس المفدّى والملك المعظّم. لكنّها ألقاب سياسيّة غير مدسترة، لزوم الديكتاتوريّة. رغم محاولة بعض الملوك تصعيد خطاب المديح لدرجة تقديسه. لكنّها كلّها محاولات لا تستند إلى أيّة مصادر فقهية. ولم يستطع أيّ منهم دسترتها. هذا التجييش الطائفيّ المنبثق عن مشروع ولاية الفقيه، بمرجعيّة الفقيه نفسه تجييشاً مقوننا في إيران، انطلاقاً من الوضعيّة الدستوريّة للفقيه نفسه، قابله»سُنّيّاً» تجييشاً غير منضبط ومزاجي، ويخضع لاعتبارات عابرة. الثورة السوريّة رفعت الغطاء عن كلّ الأطروحات في لعبة» الفتنة» الطائفيّة والمذهبيّة والدينيّة. فضحتها في سورية ولبنان والعراق وإيران. في المحصلة مشاريع سياسيّة من أجل السلطة الفاشيّة والنفوذ والنهب. كي يكتمل المشهد تحوّل شعبنا، إلى ضحيّة تكالب كلّ هذه القوى، فكان لابدّ من استخدام كلّ الأوراق لكي تنفّذ الجريمة دون عقاب أو موقف دوليّ يعبّر بالحدّ الادنى عن تضامن مع الضحايا. فكان لابدّ من الإسلاموفوبيا أن تتصدّر المشهد. والإسلام فوبيا المستخدمة هنا، لم تعد موجهة سوى إلى ما يمكننا تسميتهم المسلمين السُّنّة في سورية، لكونهم أكثريّة سكّانية، حيث يشكّلون أكثر من ٧٥٪ من السكّان. لابدّ من إشعال كلّ الحرائق لكي تلتهمهم أحياء أو أمواتاً لافرق.. لم تعد جحافل الوليّ الفقيه تشكّل خطراً على إسرائيل والغرب لماذا؟ ببساطة لأنّها تقتل الشعب السوريّ وتدمّره. بالعكس يحاول أوباما احتواء الوليّ الفقيه لكي يحتوي معه كلّ اتباعه في العالم. ولسان حاله يقول له اقتل بالشعب السوريّ كما تشاء لكنّك ستسلّم النوويّ. وستصبح واحة للهيمنة الأمريكيّة على المرجع الأوّل للشيعة في العالم. من الطبيعيّ أن يكون حجم الضحايا وأعدادهم من السُّنّة السوريّين أكبر بكثير من بقيّة الشعب السوريّ وهذا السيناريو؟ لأنّهم أكثريّة موضوعيّة. لو كانوا الأكثريّة موضوعيّاً من دين آخر أو طائفة آخرى، لتمّ قتلهم كما يحدث الآن. الأمريكان ومعهم هذه البنية العميقة للغرب، لم يتبقّ في جعبتهم من خطابات وأكاذيب سوى أن يرفعوا شعاراً عالميّاً لافشال الثورة ومكافحة الارهاب(ارموا الشعب السوري في البحر). الثورة فتحت أفقاً لن يستطيع آل الأسد إغلاقه ولن تستطيع معه البنية العميقة للغرب إغلاقه. بغضّ النظر عن مهاتراتنا. بفضل الثورة السوريّة نحن مقبلون على نظام إقليميّ جديد، لم تتّضح معالمه بعد. نظام إقليميّ سيكون لحرّيّة شعبنا دور فيه. إلّا إذا أرادوا تقسيم سورية وهذا الأمر يدخلهم في تعقيدات لايريدونها. على التيار الإسلاميّ السوريّ أن يقطع مع المرحلة السابقة. أليس نموذجكم «أردوغان» حسناً كونوا مثله.

غسان المفلح

الثورة السوريّة في مواجهة التحدّيات المصيريّة

بات من المعلوم للقاصي والداني المأزق الذي تمرّ به الثورة السورية، من خلال مواجهتها لعوائق توجّب على جميع الفعّاليّات الثوريّة التعامل بمسؤوليّة ووضع أسس صحيحة للبداية، بإعادة توجيه الثورة ووضع مسارات جديدة تكون أكثر ديناميكيّة ممّا سبق، وتحمل صورة مستقبليّة ليست بتلك الحالمة، وفي المقابل تلبّي المطالب الثوريّة الأساسيّة دون إغفال المطالب الشعبيّة والحاجات المجتمعيّة.

يمثّل الدور أو الأدوار الدوليّة أهمّ العوائق، وكما جرت التجارب السابقة الشبيهة بالأحداث الجاريّة في سوريا، فإنّ هذا الدور يكون هدّاماً في معظم الأحيان ما لم يتكوّن رأي دوليّ جامع تجاه الأزمة المعنيّة، ولمّا كانت المصالح والمخاوف الدوليّة شديدة التباين فإنّ التعويل على حلّ دوليّ أمْر في غاية السذاجة السياسيّة والثوريّة، خصوصاً بعد ما ثبت أنّ لا قوّة واحدة متحكّمة أو على الأقل لها اليد العليا في ما يجري على الأرض.

وممّا لا يقلّ أهميّة عن الوضع الدوليّ، هو تردّي الإدارة السياسيّة وعدم المسؤوليّة في تعاملها مع الوقائع الراهنة، فضلاً عن كونها المتأثّر بسير الأحداث وأنّها ليست الفاعل بها، مع غياب ملحوظ لأيّة رؤىً مستقبليّة بعيداً عن الشعارات التي تُطرح بين الفينة والأخرى دون أن تجد سبيلها للتطبيق. فالمراهنة على النخبة السياسيّة الممسكة بالتمثيل الثوريّ والبنى الهيكليّة والتمثيليّة الحاليّة ـ على الأقلّ ـ في الوقت الحاليّ، سيكون معقّداً للأمور في ظلّ بُعد أيّ حلّ سياسيّ عن التحقّق في المدى المنظور. وأمّا النخب الثوريّة ففيها كلام كثير. فما أنتجته الثورة من قامات ثوريّة يُعتدّ بها أصبح اليوم عبئاً عليها، ليس لعدم الأهليّة الثوريّة أو لانتهازيّة قد تبدو عند البعض نتيجة لمحاولات خارج السياق تمّت من خلال جهات سياسيّة أو سياسات دوليّة أو مراحل من القنوط من تحقيق أهداف الثورة غيّرت خطّ سيرهم، وإنّما ما تمّ من ضياع للهويّة الثوريّة بشكل عامّ وضياع النخب الثوريّة في اللُّعب السياسيّة التي استنزفتهم والغربة التي أصبح جلّ الثوار يعيشونها لبعد أحلامهم الثوريّة عن حيّز التطبيق.

وعندما نأتي إلى القاعدة الشعبيّة للثورة نجد انعكاسات كلّ ما سبق ونجد اليأس المتسرّب إلى قلوب الناس الذين يُفترض أنّهم ناصروا الثورة عملاً ورأياً ومواقفاً، فتجدهم اليوم ينظرون نظرة المتفرّج على وضع مشرذم عصيّ على الإلمام بجميع جوانبه حتّى يبدؤوا بتناسي الحالة الثوريّة التي سيطرت عليهم في وقت من الأوقات، لا يجدون من الآمال ما يواسيهم بعد ما تبيّن زيف أغلبها كما هو حال مبادرات الأممّ المتّحدة والجامعة العربيّة.

واستكمالاً للجانب الشعبيّ المؤثّر، فإنّ وجود شريحة اجتماعيّة لا يستهان بها لمّا تصل إليها المشاعر الثوريّة ولمّا تعصف رياح التغيير في داخلها ما زالت عصيّة على الانضمام للحراك الثوريّ غير متقبّلة لفكرة التضحية لحاجة هم لا يشعرون بأهمّيتها، وعلى الرغم من أهمّية انخراط هذه الشريحة في الهموم الوطنيّة، إلّا أنّ الفعاليّات الثوريّة ما تزال تفشل في إدراك مدى أهمّية ذلك، والفشل في هذه الناحية يغني عن البحث في الشريحة الثالثة المؤيّدة للنظام.

لكلّ هذه الثغرات، فإنّ أشدّ ما تحتاجه الثورة اليوم هو إعادة بعث روح الثورة الفتيّة عبر سدّ هذه الثغرات، بإيجاد آليّات مدروسة تأخذ بعين الاعتبار صعوبة المهمّة والوقت الطبيعيّ اللازم لها وبُعدها عن الإعلام والمهاترات السياسيّة وتكون جامعة للفاعلين الثوريّين غير مختصّة بتجمّع أو مجلس أو حزب، وتحمل رؤىً واضحة متّفق عليها مستفيدة من أسباب فشل المبادرات السابقة والوعي بخطورة الفشل في أيّ مشروع جديد، تبدأ من القاعدة الشعبيّة وتمضي لتعيد النخبة الثوريّة إلى بيئتها، ثمّ لتشرف على تشكيل إدارة سياسيّة قادرة على تلبية المطالب الثوريّة، وقد لا تُضطرّ إلى التأثير بالقرار الدوليّ، لأنّ القرار حينذاك سيكون سوريّاً ثوريّاً خالصاً كفيلاً بتحقيق الأهداف الواقعيّة للثورة أو على الأقلّ إخراجها من مأزقها الحاليّ.

عبده الحجي

حمص العديّة... مرآة السوريّين جميعاً ..

في أحدث تقارير الأمم المتّحدة والمنظّمات الإنسانيّة الدوليّة، تتصدّر مدينة حمص قائمة المآسي الإنسانيّة التي عمّمها النظام السوريّ، على امتداد الأراضي السوريّة حيث بيئات الثورة و جذوتها المُشتعلة، لكنّ المأساة الحمصيّة هي أمُّ المآسي، و قد كان عدد الشهداء فيها الأعلى، وكذلك عدد المعتقلين ومثلهم عدد المفقودين، وكانت الأعلى في تعرّض نسائها للاغتصاب والتحرّش الجنسيّ، والمدينة الأكثر دماراً وخراباً، إذ تدمّرت بشكل شبه كامل كافّة أحياءها القديمة، وطال التدمير أهمّ معالمها من كنائس ومساجد تاريخيّة وأهمّ أسواقها القديمة، وكلّ بنيتها التحتيّة ومشافيها ومدارسها، وهي المدينة التي تعرّضت لأطول فترة حصار منذ انطلاق الثورة السوريّة، فيوم واحد فقط كانت لتكتمل الـ (٧٠٠) يوم على حصار أكثر من ٢٥٠٠ شخص من المدنيّين والعسكريّين منها، والذين كانوا قبل أشهر قليلة أيضا أكثر من خمسة آلاف، استطاعت سياسة الجوع والتجويع والحصار والقصف المتواصل، من تهجيرهم و إرغامهم على مغادرة بيوتهم وحاراتهم.

لم يُخطىء السوريّون عندما أطلقوا على مدينة حمص «عاصمة الثورة»، لكن بعدما جرى على مدى عامين تقريباً من الحصار، لم تعد حمص عاصمة الثورة فقط، وإنّما أصبحت مرآتها الكاشفة، الفاضحة، مرآتها الأصدق المُعبّرة عن سوء التدبير والإدارة من قبل المُعارضة السياسيّة وهيئات المجتمع المدنيّ، وسوء الإدارة والتنسيق والفشل الذريع للعمل العسكريّ المتشرذم، الذي تحوّل إلى مجرّد جماعات تدين بالولاء للمموّلين تاركة المدينة لمصيرها، منشغلة عنها بتحقيق نصر هنا وهزيمة هناك، ربّما الحديث عن الخذلان فيه ظلم للبعض، ولكن لا يُمكن لأيّ سوريّ أن يمنع عن الحمصيّ إحساسه بالخيبة والوحدة القاتلة، و المصير المجهول، والجميع مسؤول عمّا آلت إليه الحال في مدينته المتروكة لمصيرها. حمص مرآة النظام السوريّ الفاضحة التي لم يخجل من تلميع صورته التي ظهرت فيها منذ بدء خروج آخر شبابها من المدينة القديمة/ المُحاصرة، حينما سمح للأهالي النازحين منها إلى حيّ «الوعر» بالدخول إلى حاراتهم، ليستخدمهم كبالون اختبار وليزرع في طريقهم الألغام والمتفجّرات، ومعها الكره والحقد على المسلّحين من أبنائهم، وتصويرهم أمام وسائل إعلامه بدموعهم وحسرة قلوبهم، في حالة من التشفّي والشماتة بلغت أوجّها عندما تُرك المئات من المرتزقة الموالين له، ومثلهم من جنوده وشبّيحته الذين يسمّون بـ»الدفاع الوطنيّ»، يندفعون نحو الحارات المدمّرة ليكملوا على ما تبقّى من المدينة، فيقوموا بعملية نهب واسعة لكلّ البيوت والمحلّات التجاريّة والأسواق على مرأى من عيون أصحابها، بطريقة ممنهجة يشارك فيها الجميع حتّى النساء، وذلك في أكبر عمليّة سرقة علنيّة شهدتها سوريا ربّما عبر تاريخها كلّه.

خرج أبناء حمص القديمة من حاراتهم ليظهر علناً كذب وتلفيق النظام وادّعاءاته، بوجود غرباء وجهاديّين من بلدان مختلفة بينهم، خرج رجال حمص وما تبقّى من عائلاتهم ليتبيّن أنّهم جميعاً حماصنة منذ الأزل، ولم يحملوا معهم سوى كيس ملابسهم وسلاحهم الفرديّ، لتتحوّل المدينة بعد خروجهم إلى سبيل مفتوح لكلّ ناهب ولصّ وسارق فتصبح المدينة المُستباحة بامتياز، وليتحدّث إعلام النظام الفاشيّ وأنصاره عن انتصارات عظيمة فيها، أيّة انتصارات من جيش مدعوم بشتّى أنواع الأسلحة ومختلف الميليشيات الطائفيّة من داخل الحدود وخارجها، ولم يستطيع التخلص من ثلّة من المسلّحين بأسلحة بسيطة، إلّا بعد حصار دام عامين!؟ ومن ثمّ يخضع لشروطهم في الخروج منها. لا يُمكن الادّعاء أنّ خروج الأهالي وأبنائهم المقاتلين من حمص هو نصرٌ للثورة، لا شكّ أنّه هزيمة لمعركة مهمّة وجولة مفصليّة من مفاصل الثورة، لكنّ أهل حمص انتصروا وشباب حمص انتصروا أمام السوريّين والعالم كلّه، انتصروا على أنفسهم وعلى من حاصرهم، وأثبتوا أنّ وجودهم منع عن المدينة السلب والنهب والتنكيل، وصمدوا صموداً أسطوريّاً لا مثيل له، ليتركونا نحن السوريّين أمام مرآة حقيقيّة، ومعنا كلّ مؤسّسات المعارضة وأجنحتها السياسيّة والعسكريّة والمدنيّة، هي المرآة ذاتها التي أظهرت الوجه القميء للنظام السوريّ ومناصريه، و هي المرآة ذاتها التي عكست وجه العالم الذي يدّعي أنّه «حرّ» وبمؤسّساته الدوليّة يشارك في تهجير أهل حمص منها، أجل إنّها المرآة الكاشفة التي تنعكس عنها كلّ الأسئلة المطروحة على الجميع وأوّلهم الثوّار وهيئات الثورة جميعاً: ماذا بعد حمص؟.. ماذا بقي من الثورة بعد سيطرة النظام الفاشيّ على عاصمتها؟؟... لا تخشوا المرايا الكاشفة حدّقوا جيّداً فلربّما يمكنكم تقديم إجابات.

د. خولة حسن الحديد

لأوّل مرّة منذ بداية الثورة مراكز مجتمعيّة لخدمة السوريّين في مصر

- **خدمات المراكز تشتمل على جوانب تمكين المرأة اقتصادياً وتعليمياً من خلال فتح خطوط إنتاج بعد التدريب.**
- **تعمل المراكز على توعية اللاجئ غير المسجّل بحقوقه وضرورة تسجيله في المفوضيّة لحمايته قانونياً في بلد اللجوء.**
- **استقطاب سيّدات البيوت ومساعدتهنّ على الاندماج بالمجتمع الجديد، حيث تعاني النساء اللاجئات من العزلة خوفاً من الاحتكاك والمشاكل.**

-المجلس الوطني الكرديّ كان من أحد المشاركين في الاتفاق على المشروع، لكنّ مؤتمر جنيف جعلهم ينسون وعودهم وذهبوا وتخيّلوا أنّ المنصب سيأتيهم على طبق من ذهب.

-إنّ الادارة الذاتيّة تعني بحدّ ذاتها، مشاركة كلّ المكوّنات في المقاطعة بإدارة ذاتها، بشكل متساوٍ دون تمييز

رغم النزوح الكبير للسوريّين من مصر بعد صدور قرار وجوب الحصول على فيزا للدخول إليها، إلّا أنّه لا يزال هناك ما لا يقلّ عن نصف مليون لاجئ سوريّ في مصر، ممّا حدا برابطة سوريّات، التي تحتفل بالذكرى السنويّة الأولى لتأسيسها، حيث تأسّست في ٢٨ نيسان ٢٠١٣، بإقامة العديد من المراكز المجتمعيّة التي تعمل على خدمة السوريّين، خصوصاً النساء والأطفال منهم، وتوعيتهم بطرق الاندماج مع المجتمع المصريّ، رغم التقارب بين الشعبين، قياساً لما يتعرّض له لاجئو أوروبّا.

افتُتح مؤخّراً في العاصمة المصريّة القاهرة مركزان مجتمعيّان، لا يتبعان أيّ طرف سياسيّ، لمساندة السيّدات السوريّات المقيمات في مصر، والتي تنعكس بالتأكيد على العائلة كلّها، خصوصاً الأشخاص غير المسجّلين في المفوضيّة، فرغم وجود ما يزيد عن نصف مليون لاجئ سوريّ في مصر، إلّا أنّ المسجّل منهم في المفوضيّة فقط ١٣٦ ألف سوريّ. والمركزان جزء من مشروع موسّع لعدّة مراكز خدميّة سيتمّ افتتاحها تباعاً في مناطق مختلفة من مصر. حيث تقوم سيّدات سوريّات متطوّعات لخدمة النساء السوريّات في مصر بغضّ النظر عن انتمائهنّ العرقيّ أو الطائفيّ أو الإثنيّ. وقد كشفت النساء السوريّات بعزيمتهنّ وطموحهنّ المعدن الحقيقيّ للمرأة السوريّة، التي تحمّلت خلال فترة الثورة معظم العبء الذي وقع على الأسرة حيث كانت في معظم الأحيان المعيل الوحيد للعائلة في غياب الرجل في السجن أو على خطوط القتال، إن لم تتعرّض هي شخصياً للاعتقال وتبعاته.

نشاطات المراكز

أُنشئتْ هذه المراكز الاجتماعيّة بتمويل من المفوضيّة الساميّة لشؤون اللاجئين وبدعمها وتحت رعاية المنظّمة العربيّة لحقوق الإنسان. وتشتمل على خدمات تثقيفيّة، ترفيهيّة، تدريبيّة بهدف تمكين المرأة، في مجالات المطبخ السوريّ، كوافير، خياطة كروشيه، تطريز، ودورات تعليميّة، لغات للكبار والصغار، بالإضافة إلى دورات تقوية للشهادات. وبعد التدريب يتمّ فتح خطّ إنتاج للاستفادة من المردود بحيث يتمّ تأمين فرص عمل لنساء معيلات. كما يقوم المركزان على توعية اللاجئ غير المسجّل بحقوقه وضرورة تسجيله في المفوضيّة لحمايته قانونياً في بلد اللجوء.

وتعتمد المراكز على التشبيك مع المنظّمات المختصّة لإقامة ورشات عمل في مجالات حيويّة مثل الدعم النفسيّ والقانونيّ، تشجيع الشابّات على العمل التطوعيّ، وذلك من خلال إقامة دورات مع منظّمات متنوّعة بالتعاون مع المفوضيّة لتدريب الشباب على ذلك.

وتعتبر هذه المراكز بمثابة المرجعيّة للاجئين السوريّين في مختلف مناحي حياتهم. فأحد المهامّ الأساسيّة لهذه المراكز التشبيك مع جهات صحّيّة لمساعدة اللاجئين السوريّين في هذا الجانب الحيويّ والمهمّ، وإقامة حملات توعية صحّيّة بالتعاون مع المفوضيّة واتّحاد الأطبّاء العرب لتدريب رائدات في المجال الصحّيّ في أماكن تجمّع السوريّين. بالإضافة إلى التشبيك مع جهات حقوقيّة محلّيّة تعمل مع اللاجئين السوريّين بخصوص معاملات حكوميّة مثل الزواج وتسجيل المواليد الجدد وحالات الوفاة.

وهناك جانب معلوماتيّ خدميّ تقدّمه هذه المراكز للاجئين السوريّين، بالإضافة إلى التمكين في المجال النفسيّ عن طريق استقطاب سيّدات البيوت ومساعدتهنّ على الاندماج بالمجتمع الجديد والتعامل معهنّ على أساس علم نفس اللاجئين، حيث تعاني النساء اللاجئات من العزلة خوفاً من الاحتكاك والمشاكل. لذا تتّبع تلك المراكز سياسة الدمج من خلال فتح المجال للسيّدات المصريّات بالمشاركة في نشاطات المركز حيث يتمّ قبول ٨٠٪ من النساء السوريّات و٢٠٪ مصريّات. كما أنّ جميع الخدمات المقدّمة من قبل المركز مجّانيّة بالإضافة لتوفير فرص عمل للمساعدة في إعالة عائلات السيّدات السوريّات.

كما يتمّ مساعدة المستفيدات من خدمات المركز في رعاية أطفالهنّ خلال فترة الدورات بوضعهم في حضانة تابعة للمركز، تقام فيها نشاطات ترفيهيّة للأطفال بشكل عامّ مثل إقامة رحلات محلّيّة للتعريف بالمحيط الجديد، والنشاطات الفنيّة من خلال دعوة فنّانين محلّيّين وأجانب لإقامة نشاطات ترفيهيّة في المراكز. وتقيم رابطة سوريّات حالياً ورشات عمل للعاملات في المراكز لتمكينهنّ من ممارسة مهامّهنّ في مجالات الدعم النفسيّ والتنظيم الإداريّ.

أصل الحكاية

تعتبر رابطة سوريّات منظّمة شريكة لمفوضيّة اللاجئين، كما أنّها أحد برامج المنظّمة العربيّة لحقوق الإنسان. ورغم أنّ الرابطة في الأساس رابطة حقوقيّة، إلّا أنّ طابع نشاطها هو اجتماعيّ، عدا بعض الدورات وورش عمل حقوقيّة في مجال المرأة مثل ورشة «حقوق المرأة في النزاعات المسلحة» و «محاربة العنف القائم على النوع الاجتماعي». من النشاطات التي قامت بها الرابطة قبل انطلاق المراكز المجتمعيّة الخدميّة، تكريم الأمّهات فى عيد الأمّ، رحلة لدريم بارك (تجاوز عدد المشاركين ٨٥٠ شخصاً)، رحلة للمركز العلميّ والإبداع، مشروع المعلّمة، مشروع لسنا لاجئات بل منتِجات، تجمّع أطفال سوريا، ندوة عن التنمية البشريّة وأهميّة الوقت، حضرته أكثر من مائة سيّدة، السفر إلى محافظة الفيوم للوقوف على أوضاع السوريّين فيها ونقل مشاكلهم للمفوضيّة ولقاءات المفوضيّة مع سيّدات سوريّات لإعادة تقييم الأوضاع، حيث كان تقييم المفوضيّة على أساس السكن الجغرافيّ فتغيّر إلى التقييم على أساس الحالة الاجتماعيّة.

جدير بالذكر أنّ أغلب هذه الأفكار نُفّذت بشكل تطوّعيّ وبجمع تبرّعات من السيّدات وبدون أيّ دعم ماديّ. وكانت هذه الأفكار والمشاريع نواة لخبرة أكبر للسيّدات واتّساع الطموح، بالتفكير في تقديم مشاريع إلى المفوضيّة السامية للأمم المتّحدة لشؤون اللاجئين، وبعد جهد وعمل شاقّ ودؤوب نجحت السيّدات السوريّات بالفعل في الحصول على دعم لتأسيس مراكز مجتمعيّة في كلّ من «العاشر من رمضان» و»مصر الجديدة».

ولن يتوقّف حلم السيّدات السوريّات عند ذلك الحدّ، بل هو مستمرّ من خلال العمل والبحث عن أفكار جديدة لدعم السوريّين في كلّ دول اللجوء، وحلّ مشاكلهم، التي يعلمونها ويعانون منها في تلك الدول.

القاهرة ـ نجاح سفر

ترنيمة سوريّة في السويد

أقدم مقطوعة موسيقيّة في تاريخ البشريّة، والتي كُتبتْ نوتتها الموسيقيّة عام ١٤٠٠ قبل الميلاد باللغة الأوغاريتيّة على لوح فخاريّ، سيقدّمها المؤلّف الموسيقيّ السوريّ «مالك الجندلي» يوم الأحد ١٨ أيّار ٢٠١٤ بمشاركة فرقة أوركسترا استوكهولم السيمفونيّة على خشبة المسرح الوطنيّ السويديّ التي تُمنح عليها جائزة نوبل للسلام.

وأكّد المنظّمون في جمعيّة دعم الشعب السوريّ في السويد على أنّ ريع هذا الحفل الخيريّ سيخصّص بالكامل من أجل مساعدات الإغاثة الإنسانيّة لأطفال سوريا الذين يعيشون مأساة الحرمان من الآباء والأمّهات والتشرّد والضياع، سواء داخل سوريا أو في مخيّمات اللجوء في دول الجوار.

وقد صرّح « الجندليّ» للصحافة العالميّة في استوكهولم حول العرض القادم:

"اجتمعنا هنا لتقديم مشروع إنسانيّ سوريّ يمنح أطفال سوريا صوتاً يصل إلى العالم أجمع من خلال الفنّ السوريّ الراقي. الموسيقى هي رحلة الفنّان في البحث عن الحقيقة والجمال، وسوف نتضامن سويّاً ونجتمع في سيمفونيّة إنسانيّة كي نعطي هؤلاء الأطفال صوتاً جميلاً للتعبير عن رحلتهم النبيلة من أجل الحرّيّة والسلام. من المؤسف حقّاً، شبه انعدام صوت هؤلاء الأطفال في الإعلام العربيّ و العالميّ، ومن واجبنا الإنسانيّ والأخلاقيّ التضامن والتعاون لإيصال رسالة أطفال سوريا إلى كافّة أرجاء المعمورة».

وعن الطريقة التي عُثر فيها على التدوين الموسيقيّ الأوغاريتّي قال :

تعود هذه التدوينة إلى ١٤٠٠ عام قبل الميلاد، هذه حقيقة تاريخيّة مهمّشة، وهي عبارة عن ترنيمة صلاة لامرأة سوريّة عاقر، تدعو ربّها أن تنجب أطفالاً. اكتشفت علماء الموسيقى و الآثار بأنّ هذا الرقم الفخاريّ الأوغاريتيّ السوريّ، دعاء مقرون بلحن موسيقيّ، ليكون بذلك أوّل مقطوعة موسيقيّة في التاريخ! «.

ثمّ تساءل «مالك الجندليّ» وأجاب:

«هل يمكن أن تتخيّلوا العالم اليوم بدون أحرف أبجديّة أو بدون موسيقى؟ أو بدون أجهزة الكمبيوتر والهواتف الذكيّة؟. الحقيقة التاريخيّة مفادها أنّ أجدادنا الأحرار في سوريا ابتكروا الأبجديّة والتدوين الموسيقيّ. وعندما يتمتّع العقل السوريّ اليوم بالمناخ الملائم و بالحرّيّة، يبتكر الكمبيوتر والآي فون والآي باد والآي تيونز. «ستيف جوبز –جندلي» مؤسّس شركة آبل هو ابن عمّي «عبد الفتاح الجندليّ» من مدينة حمص في سوريا!».

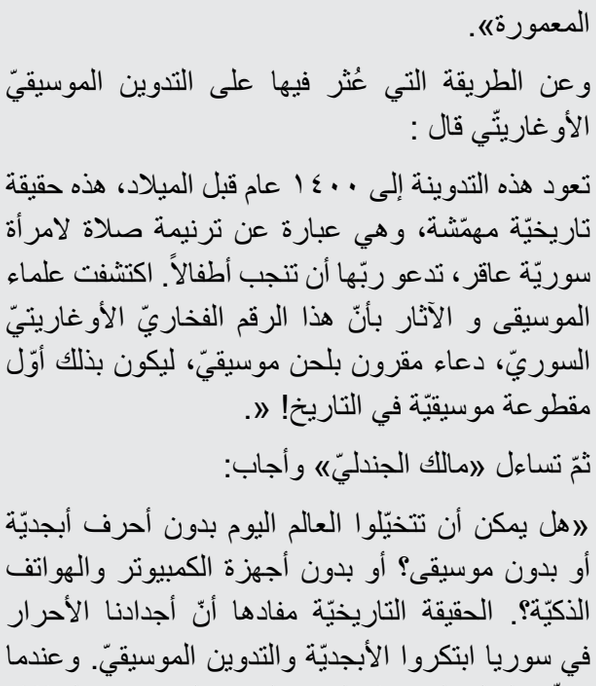

كلّنا سوريّون

«المرجان» محل الإبراهيميّ؟

أعلن الأمين العامّ للأمم المتّحدة»بان كي مون» يوم الثلاثاء ١٣ أيّار استقالة المبعوث الأمميّ لسوريا الأخضر الإبراهيميّ، وذكر مراسلون أنّ الاستقالة ستدخل حيّز التنفيذ نهاية الشهر الجاري. وقال الإبراهيميّ للصحافيّين: «ليس الأمر لطيفا جدّاً بالنسبة لي، من المحزن جدّاً أن أترك المنصب وأن أترك سوريا ورائي في تلك الحالة السيّئة».

وكان الإبراهيميّ قد ترأس جولتين من محادثات السلام بين المعارضة والنظام، في مونتيرو وجنيف في كانون الثاني وشباط، لكنّها فشلت في التوصّل إلى نتائج ملموسة.

وتتحدّث الكثير من وسائل الإعلام أنّه يوجد العديد من المرشّحين المحتملين ليحلّوا محلّ الدبلوماسيّ الجزائريّ المستقيل، ومنهم وزير الخارجيّة التونسيّ السابق أيضاً «كمال مرجان».

شهادات معرض في باريس

تشكيليّون ومصورون سوريون ولبنانيون يقيمون معرضهم في معهد العالم العربيّ بباريس، بلا صخب أو شعارات، أو هجومات بطوليّة، بل هو إضاءة على زوايا مجتمع عاش ترهيباً أدّى إلى تجسس أمنيّ مفزع، تمّ التعبير عنه بمعالجات تشكيليّة في غاية الخصوصيّة والأصالة والذكاء.

المعرض متميّز أيضاً لأنّ تجريبيته المنفتحة إبداعيّاً ستفرض على فنانيه البحث عن أدوات فنيّة متجدّدة كالآلام السوريّة المستمرّة.

إنّها المأساة التي اهتزّ لها جمهور عبّر عن تأثّره من خلال السجلّ الذي وُضع في متناوله مقابل باب الخروج، وضمّ شهادات مهاجرين سوريّين وفرنسيّين وأطفال يعيشون في باريس، في الوقت الذي يُباد فيه أطفال مثلهم في سنّ الربيع، كما شهدت على ذلك الأعمال والتي سيستمرّ عرضها حتّى ٢٨ حزيران القادم.

أربعة عشر دليلاً دامغاً

قالت منظّمة «هيومن رايتس ووتش»: إنّ لديها أدلّة دامغة على استخدام النظام السوريّ غاز الكلور في قصفه مدناً وبلدات سوريّة تسيطر عليها المعارضة المسلّحة.

وقال وزير الخارجيّة الفرنسيّ «لوران فابيوس» الثلاثاء ١٣أيّار في مؤتمر صحفيّ في واشنطن: إنّ لديهم ١٤دليلاً على الأقلّ يؤكّد أنّ أسلحة كيميائيّة قد استخدمت من جديد خلال الأسابيع القليلة الماضية بكميات قليلة، خصوصاً مادّة الكلور.

وأضاف «فابيوس» أنّ بلاده تأسف لأنّ الرئيس الأميركي «أوباما» لم يوجّه ضربة عسكريّة إلى سوريا في خريف عام ٢٠١٣، مشيراً إلى أنّهم كانوا يعتقدون آنذاك أنّ الضربة كانت ستغيّر كثيراً من الأمور على مستويات عدّة «إلّا أنّ هذا واقع حدث ولن نعيد صناعة التاريخ».

الجرب وباء جديد يجتاح جموع النازحين

كلنا ـ الجرب مرض جلديّ معدٍ شائع، يسبب بثوراً حاكّة صغيرة جدّاً(سوسة، عثّة) تسمّى القارمة الجربيّة Sarcoptes Scabiei

«الجرب» ينتشرفي شماليّ حلب بين النازحين في ظلّ غياب الرعاية الصحّيّة والبيئيّة وأكثر من ١٣٠٠١ إصابة.

تشهد المناطق الشماليّة من ريف حلب انتشار وباء الجرب المعدي والخطير بين النازحين المقيمين في المدارس والمخيّمات العشوائيّة والخيام والمنازل المهجورة، وتقول المصادر الصحّيّة إنّ أسباب انتشار هذا المرض الذي كان موجوداً خلال فترات سابقة، هو غياب الرعاية الصحّيّة والنظافة وعدم وجود المرافق العامّة في مناطق تواجد النازحين.

والجرب مرض جلديّ معدٍ شائع، يسبب بثوراً حاكّة صغيرة جدّاً(سوسة، عثّة) تسمّى القارمة الجربيّة Sarcoptes Scabiei، تلجأ إلى الحفر في الطبقة العليا من الجلد الإنسانيّ لوضع بيوضها. تظهر الحفر كالأخاديد أحياناً متموّجة، قصيرة، محمرّة، أو خطوطاً مظلمة على سطح الجلد، خصوصاً حول الأرساغ وبين الأصابع، يمكن أن يتطوّر أيضاً إلى طفح أحمر.

ينتقل الجرب عادة بالملامسة الجلديّة أو من خلال المعاشرة الجنسيّة ويندرج ضمن قائمة الأمراض المنقولة جنسيّاً من شخص مصاب به. تنتشر العدوى بسهولة أكثر في الأماكن المزدحمة وفي الحالات التي فيها الكثير من التماس المباشر مثل مراكز رعاية الطفولة أو بيوت التمريض. ولو أنّ شخصاً ما في الفصل أو في العائلة أصيب بالجرب من الأفضل أن يعالج من العدوى حتّى قبل ظهور الأعراض.

جريدة «كلّنا سوريّون» التقت عدداً من النازحين المصابين بوباء الجرب حيث أجمع معظمهم أنّ سبب إصابتهم بهذا الوباء هو انتشار الأوساخ والأوبئة ونقص المياه وعدم وجود مرافق عامّة والمسكن الغير ملائم كون معظم المصابين يسكن الخيام (٣م في ٣م هي الحمام والمطبخ والمسكن) كما أنّ بعض المصابين يسكن المنازل المهجورة والمدارس التي ليست بأحسن حالاً من هذه الخيام .

والتقت جريدة «كلّنا سوريّون» الدكتور «حسن رحّال «من مركز «شامنا» الطبّيّ في بلدة «تركمان بارح» فحدّثنا عن وباء الجرب وأسباب انتشاره في هذه المنطقة قائلاً: «بدأنا نلاحظ ظهور هذا الوباء منذ ثلاثة أشهر بين النازحين وخاصّة الأطفال وبحسب الدراسات التي قمنا بها تبيّن لنا أنّ أسباب انتشار هذا الوباء في هذه المنطقة هو قلّة النظافة الشخصيّة ونقص الماء عند النازحين وعدم وجود حمامات».

وأضاف «رحّال»: «ومن أسباب هذا الوباء انتشار المخيّمات العشوائيّة الغير مخدّمة بالمرافق العامّة في الريف الشماليّ، والتي رافقها غياب التوعية الصحّيّة بين النازحين الذي سهّل انتشار العدوى من خلال الأغطية والحرامات التي تحمل العدوى، ولعدم ملائمة الأمكنة ولبس ثياب الغير واستخدام أغطية فرش الغير، لأنّ ذلك يساعد في انتقال العدوى».

وعن عدد الإصابات المسجّلة في المركز قال «رحّال»: «يأتينا بشكل يوميّ أكثر من حالتين وقد تصل إلى عشر حالات حيث بلغ عدد الإصابات حوالي ١٣٠٠١ إصابة وهي بازدياد ونحتاج إلى دعم طبّيّ وعلاجات لمكافحة هذا الوباء».

أمّا عن أعراض هذا الوباء فقال «رحّال»: بداية تظهر حكّة شديدة ترافقها انتانات جلديّة (قوباء) عند المصابين، عندها يجب أن يقوم المصابون بمراجعة المركز، وهذه الحالة إن لم تعالج قد تؤدّي إلى حمآت وخرّاجات وإلتهاب عقد لمفاويّه».

وعن طرق مكافحة هذا الوباء (الجرب) أشار «رحّال»: «تعتمد المكافحة على شقّين: علاجيّ ووقائي: العلاجيّ نحتاج إلى أدوية ومراهم ومعقّمات وصابون خاصّ بمرض الجرب بشكل ضروريّ لمعالجة المصابين الحاليّين وأجهزة تعقيم خاصّة بالبطّانيّات والألبسة والفرشات، وأمّا الوقائيّ فيجب تأمين حمامات لمخيّمات النازحين ومرافق عامّة وتأمين منظّفات كيماويّة ومياه وترحيل القمامة من المخيّمات ورشّ بالمبيدات الحشريّة، كما تتطلّب مكافحة الوباء تأمين مختصّين من أطبّاء بالأمراض الجلديّة».

وأضاف «رحّال»: كما تتطلّب معالجة هذا الوباء أيضا نشر الوعي الصحّيّ بين النازحين من خلال برامج التوعية والمنشورات التي ترشد النازح إلى طرق المحافظة على نظافة البيئة، والتعاون بين النازحين والبرامج الصحّية والنظافة الشخصيّة...».

وناشد «رحّال «: «نطالب الجهات المعنيّة في المناطق المحرّرة من حلب بتقديم الدعم اللازم لمكافحة هذا الوباء الخطير والمتفشّي، كوننا نتخوّف من انتشاره على نطاق واسع يصعب مكافحته بعد استفحاله، خصوصاً ونحن مقبلون على فصل الصيف..».

وأنهى «رحّال» حديثه قائلاً: «لا يقتصر الأمر على وباء الجرب بل هناك الكثير من الأمراض الجلديّة المنتشرة بين النازحين وحتّى المقيمين مثل مرض اللايشمانيا وغيره من الأمراض الأخرى، لذلك يتوجّب على جميع الجهات المعنيّة إيلاء موضوع الأوبئة أهمّية كبرى.

بدر حسين

بين الاتهامات المتبادلة والحلول الغائبة .. حلب عطشى والشارع يغلي غضباً

تعيش مدينة حلب حالة يصحّ وصفُها بالمأساة الإنسانيّة بعد مرور أكثر من عشرة أيّام على انقطاع المياه عن كامل المدينة بقِسميها اللذين يخضعان انتصافاً نسبيّاً بين سيطرة قوّات النظام وكتائب المعارضة المسلّحة ممّا يُجبر المدنيّين في الطرفين على البحث عن مصدر آخر للماء.

اتّهامات متبادلة:

تُظهر أزمة المياه هذه مدى تعقيد الوضع السوريّ حتّى على المستوى الخدميّ، فتبادَلَ المتّهمون، أصلاً، الاتهامات فيما بينهم دون حلولٍ واضحة فيما يبدو أنّ عُمر هذه المأساة المرحليّة سيطول قليلاً.. وجّه ناشطون اتهاماً إلى الإدارة العامّة للخدمات (الذراع الخَدَميّ لجبهة النصرة) بأنّها تعمّدت قطع المياه من المضخّة الموجودة في حيّ «سليمان الحلبيّ» الذي يقع على خطّ جبهة القتال بين الثوّار والنظام، فيما أطلقت الإدارة العامّة للخدمات عبر بيانٍ منشور أصابع الاتهام باتّجاه النظام، الذي تعمّد قصف خطوط الماء ما أجبَرَ الإدارة العامّة على إغلاق الخطوط المتضرّرة، كما وجّهت اتهاماً لمنظّمة الهلال الأحمر العربيّ السوريّ بالتقصير تجاه ما أسمته «مسؤولياتهم الإنسانيّة» جاء في البيان: «إنّ الاستهداف المتكرّر للطرقات الرئيسيّة من قبل طيران النظام بهدف تقطيع أوصال المناطق المحرّرة أدّى بشكل مباشر إلى تضرّر شبكة المياه الرئيسيّة الموجودة تحتها» كما ذَكَر البيان أيضاً أنّ الضخ توقّف من منطقة الخفسة التي تقع تحت سيطرة الدولة الإسلاميّة في العراق والشام (داعش) بعدما أعطى النظام تعليمات للموظّفين الموجودين في المحطّة بإيقاف الضخّ.

«عبد الله حمّادة» (٢٥ عاماً) نائب رئيس شعبة المياه في المجلس المحلّيّ لمدينة حلب قال: «الإدارة العامّة للخدمات هي من قطعت المياه متوقّعين أنّ هذا الإجراء يمكن أن يضغط على النظام ويمنعه من إرسال الطائرات التي ترمي البراميل المتفجّرة»

بينما أوضح الهلال الأحمر، فرع حلب، على صفحته في الفيسبوك أنّ المفاوضات جارية بينهم وبين جهات مسؤولة في أحياء حلب الشرقيّة لغرض مناقشة قضايا «إنسانيّة» لا سيّما أزمة المياه وكلّ ما يمكن المساهمة به لإعادة ضخّ المياه الآمنة بأسرع وقت ممكن، كما أكّد الهلال أنّ فرق التدخّل الميدانيّ والمياه والإصلاح تقوم بكلّ ما بوسعها من أجل إصلاح مضخّات المياه المتضرّرة، بعدما كان قد تدخّل سابقاً من أجل إدخال المحروقات لزوم تشغيل مجموعات التوليد في حيّ «سليمان الحلبيّ» لضمان استمرار ضخّ المياه إلى محافظة حلب قبل أن تُقطع المياه بسبب أعطال في المضخّات، ولم يُلقِ الهلال أيّ اتهامات تجاه أيّ طرف واكتفى بالقول إنّ «جهود الهلال الأحمر متواصلة بخصوص المياه وهناك وعود إيجابيّة».

المدنيّون و المعاناة المستمرّة:

يلجأ المدنيّون إلى الاستعانة بالعديد من الوسائل من أجل الحصول على الماء، ابتداءً بنقل المياه بمواعين بلاستيكيّة إلى بيوتهم بعد تعبئتها من الآبار والمياه الجوفيّة التي غالباً ما تكون مياه مالحة غير صالحة للشرب أو كلسيّة غير صالحة للاستحمام بحسب المرصد السوريّ لحقوق الإنسان، أو بجلب صهاريج مياه كبيرة لتملأ لهم خزانات المياه، مقابل مبالغ ماديّة باهظة (بالنسبة للطبقة العاملة التي تقبض رواتبها بالليرة السوريّة) وقد شهدت شوارع حلب تجمّعات للأهالي في طوابير أمام المساجد والحدائق من أجل الحصول على الماء وهو ما يشكّل الآن الهاجس الأوّل بالنسبة للحلبيّين.

يقول «أحمد» وهو طالب جامعيّ يقطن في المناطق الغربيّة الواقعة تحت سيطرة النظام: «هذه ليست المرّة الأولى التي يعاني فيها أهالي حلب من قطع الماء أو الكهرباء، لكنّ الاختلاف أنّ النظام هو من كان يقوم بهذه العمليّة، الآن من يقطعها هم الكتائب المسلّحة المحسوبة على الطرف المظلوم والثائر، ما ولّد شعوراً بالغضب كبيراً لدينا فأن يظلمك الظالم أمرٌ اعتياديّ أمّا أن يظلمك من هو مظلوم مثلك فهذا ما يجعلك تشعر أنّك مجانيّ في هذه الحرب، الكلّ يعلم أنّ جبهة النصرة هي المسؤولة عمّا يحدث، وتستخدم الماء كوسيلة للضغط على النظام متناسين أنّ هذه المنطقة محتلّة وهي تخضع لسيطرة النظام ولا تستطيع المقاومة».

مبادرات مدنيّة مؤقّتة و الحلّ ما يزال بعيداً:

تقوم جمعيّات كالهلال الأحمر السوريّ ومبادرة أهالي حلب وجمعيّة الإحسان في القسم الغربيّ، ومجالس الأحياء والمجلس المحلّيّ لمدينة حلب وبعض التجمّعات المدنيّة في القسم الشرقيّ بالعمل على توفير الحلول المؤقّتة كتحديد أماكن المياه الصالحة للشرب وتأهيل آبار جديدة ومراقبة نوعها وصلاحيّة استخداماتها.

و ردّاً على سؤال حول إن كانت هناك مبادرات لحلول جدّية تجاه هذه الأزمة؟. قال «عبد الله حمّادة»: «يقوم مجلس المدينة حاليّاً بإرسال صهاريج إلى الأحياء وتأمين الآبار ومراقبتها وإرسال تحذيرات للمدنيّين حول عدم صلاحيّتها للشرب وهي حلول مرحليّة، نحاول كلّ يوم إقناع الإدارة العامّة بضرورة التعاون مع الهلال الأحمر من أجل التدخّل السريع لإصلاح المضخّة وإنهاء هذه الحالة المأساوية لكّنهم مصرّون على هذا الإجراء ولا يظهر لنا أنّ لديهم نوايا جدّية باتجاه الحلّ».

عارف حاج يوسف

أم الحجار السود
نصر المقاتلين.. هزيمة قادة الثورة

كلنا ـ ورق الفجل ينمو بسرعة مذهلة، حتّى أنّ بعض الشباب بدؤوا باستنباته بسرعة أكبر عن طريق وضع بذور الفجل على الخيش المبلّل بالماء، كان الفجل نبات الحياة بالنسبة لنا،

في قرية الغنطو شمال مدينة حمص راح (كنان هـ) الذي غادر حمص المحاصرة بالأمس، يتجوّل في شوارع القرية بحثاً عن بقّاليّة: «اشتقت للشراء أريد قطعة شوكولا أو أيّ نوع آخر من الحلوى، والأهمّ أنّي كنت أريد القيام بفعل الشراء، أن أطلب من البائع شيئاً ما، وأخرج النقود من جيبي وأدفع له الثمن، لم أجد أيّة بقّاليّة مفتوحة في ذاك الوقت المبكّر من الصباح، لكنّي عثرت على محلّ كهربائيّات فدخلت إليه واشتريت فيش كهربا».

لم تكن هذه طرفة حمصيّة لشخص من هذه المدينة التي طالما عُرفت بالطرائف، لكنّها كانت حالة واقعيّة لشابّ لم يبلغ العشرين بعد، وقضى في حمص المحاصرة أكثر من سنتين في ظروف إستثنائيّة بكلّ المقاييس، حيث لا وجود لأيّ ملمحٍ من ملامح الحياة الطبيعيّة التي اعتادها في يوميّاته ما قبل الحصار.

عدسة: أشرف داغستاني

لم يُعرف بدقةٍ العدد الحقيقيّ للمقاتلين الخارجين من الحصار، ويبدو أنّه ليس من المهمّ معرفة هذا الرقم بقدر أهمّية ما ينطوي عليه التدقيق في الحكايات والتفاصيل من فرادة، لرسم لوحة عن مدينة صمدت لأكثر من عامين ضمن حالةٍ من الحصار المحكم وهي تتعرّض لكلّ أنواع القذائف من الأرض ومن الجوّ، حالة تكاد تبدو للمراقب كالأسطورة، حتّى يجلس إلى أبطالها فتعود لتبدو مدهشة ببساطتها حين يتمّ الكشف عن أسبابها وردّها للدوافع الأشدّ طبيعية «كنت أدافع عن بيتي وبيت أبي وبيت جدّي الذي تربّيت فيه» يقول أحد المقاتلين الشباب دون كثيرٍ من التحليل لأبعاد الصراع مع نظام لم يكن للعنف الذي مارسه بمواجهة أصحاب هذه البيوت من سقف.

حتى الملائكة بكت في حمص

«انظروا إلى السماء. إنّها الملائكة تبكي لخروجنا» هذه الجملة كرّرها العديد بقناعة راسخة أنّ المطر الذي رافق مغادرتهم لمدينتهم إنّما هو حزن السماء لما يحدث لهم، وستغدو كامل قصّتهم بالغة البساطة وبعيدة عن كلّ التحليلات السياسيّة المعقّدة للمحلّلين السياسيّين، ستعود الحكاية إلى أصلها، إنّهم شباب ورجال كانوا يدافعون عن بيوتهم وبيوت أبائهم وأجدادهم بمواجهة من يصفونهم بالغزاة. يقول (شبل خ) وهو من مواليد عام ١٩٩٢: «ولدتُ في حيّ الخالديّة ولا أريد الموت خارجه، نحن تربّينا على أنّ الأرض والعرض أمر واحد، في كلّ سنواتي السابقة لم أحسّ بالهواء على حقيقته إلّا بعد انخراطي في الثورة، حصارنا في حمص كان أكبر من أيّ سجن، ما أصعب أن يجوع البني آدم، وكم يشعر بنفسه ضعيفاً، في الحصار تغربلت أمور كثيرة لديّ وعرفت الأصدقاء الحقيقيّين من غيرهم، وهؤلاء المقاتلين أعزّ عليَّ اليوم من إخوتي، وأنا جاهز لأضحّي بروحي من أجلهم في أيّة لحظة، لا أحلم إلّا بعودتي إلى الخالديّة وسوف أعود إليها».

لم تكن العبارات الطائفيّة المبطّنة أو الظاهرة خافية في أحاديث هؤلاء المقاتلين، فهم لا يجدون أيّ حرجٍ في تداولها وكأنّهم يتناولون بدهيّات غير قابلة للدحض. كان (داود ن) وهو من مواليد حمص ١٩٧٢ (الأكبر سنّاً قياساً بزملائه) موظّفاً في مؤسّسة المياه عند اندلاع الثورة: «لم نقم بالثورة ضدّ طائفة العلويّين أبداً، رغم استفزازاتهم لنا، فبعد كلمة بثينة شعبان في بداية الثورة، قدمت من أحياء الزهراء والنزهة إلى حيّنا،المريجة، سيارات بأعداد كبيرة وهم يرفعون صور بشّار الأسد، وكانوا يهتفون بشعارات طائفيّة إستفزازيّة، ورغم ذلك ضبطنا أنفسنا يومها.. ومن ناحيتي فأنا لم أصدّق أذنيّ حين سمعت الشباب في حيّنا وهم يهتفون الله أكبر حرّيّة، وسرعان ما انخرطتُ بينهم وروح التحدّي لممارسات الفروع الامنيّة أشعلت فيّ اللهيب نحو الانعتاق من عبوديّتنا. بقينا سلميّين لفترة ستّة أشهر، وأنا أرى بأمّ عينيّ كيف كانوا يطلقون النار على أصدقائي وأبناء حيّي وأبناء المدينة وكان هؤلاء يموتون أمامي، وهذا ما كان يحدث في كلّ سوريا. في أحد الأيام استشهد سبعة من أبناء حيّنا وهم ضمن اعتصام سلميّ، يومها بكيناهم لكنّنا ومنذ ذاك اليوم نضحك من كذبة أنّ المظاهرات السلميّة يمكن أن توقف همجيّة هذا النظام عند حدّها.. عانينا في حصار حمص الكثير وأبشع ما شاهدته كان سقوط أسطوانة لم نعرف ما بداخلها إلّا أنّها أحرقت كلّ ما حولها، وكان أعزّ اصدقائي قريباً منها فاحترق ووصلت النيران إلى أمعائه التي كانت تحترق، ولم أعرف كيف يحدث هذا، دفنّاه وما زالت رائحة جسده المحروق تملأ أنفي وذاكرتي حتّى اليوم. عانينا الكثير في الحصار ولكن كان الأكثر إيلاماً هو الفساد المستشري بين صفوف المتسلّقين على الثورة الذين كان لهم دور كبير في خروجنا من حمص، لكنّنا سنعود إليها مهما كلّف الثمن». يصمت داوود وكأنّه لم يكن يودّ الإيغال في بحث موضوع الفساد والخذلان، وعندما حاولت استدراجه أجاب بلهجة صارمة «كلّ شي بوقته».

(عبد الله ش) شابّ حمصيّ ثلاثينيّ كان يشعر بشيء من الحرج أنّه قد تحوّل إلى شخص طائفيّ ويحاول تبرير أو تفسير حالته: «بعد أن سمعت عمّا حصل في درعا من تعذيب وحشيّ للأطفال والإستهتار من المسؤولين الأمنيّين بمطالبات ذوي الأطفال والردود التي تناولت حتّى أعراضهم، شعرت أنّ العار يتناولني شخصيّاً، وفكّرت أنّه من قلّة النخوة والشرف أن أكون على الحياد، أحسست نفسي بلا كرامة،قرّرنا أنا وبعض الأصدقاء في الحيّ أن نحثّ الناس ونُخرج مظاهرة من مسجد الحيّ بعد صلاة الجمعة مهما كلّف الثمن، وهكذا كان، ويومها انخرطت في الثورة، أنا حزين جدّاً أن تكون الثورة قد انقلبت إلى صراع فيه الكثير من الدوافع الطائفيّة، لكنّ النظام هو من دفع إلى هذه الحالة. في أحد الأيّام كنت قريباً من أحد حواجز الأمن والشبّيحة وكانوا يهتفون بأعلى أصواتهم ليُسمعونا: بشّار أكبر.. مستبدلين الله سبحانه وتعالى ببشّار، وراحوا يسبّون صحابة رسول الله ويصفونهم بأبشع الصفات، أشعر أنّي صرت طائفيّاً رغماً عنّي. أحلم بالعودة لحمص في القريب العاجل ولا أتخيّل نفسي بعيداً عنها أبداً، ولا أريد أن أصدّق أنّني خارجها الآن، سوف نستعيدها رغماً عن أنوفهم وسوف ترى... «

بقلب مجروح صرخنا: حريّة.. حريّة

كانت ملامح الخارجين من الحصار في جلستنا تتبدّل حسب موضوع الحديث، فحين كان الحديث يدور عن الشجاعة والبطولة والصمود فإن التماعةً كانت تبدو في العيون وإشراقة في وجوه حتّى الصامتين، الأمر الذي سوف يتبدّل تماماً حين يتحوّل الحديث ليتناول الجوع ونقص الأدوية والشهداء. (طريف ح) ثلاثينيّ آخر يبدو عليه الكثير من الإتزان أثناء حديثه، كان قد فقد زوجته التي راحت ضحيّة سقوط أحد الصواريخ على حيّ الوعر، وهو أحد الجرحى الخارجين من الحصار إضافة لإصابة سابقة: «في الشهر الخامس من عام ٢٠١١ أصبتُ بطلق ناريّ من أحد حواجز النظام، ولم أكن يومها قد انخرطت في الثورة بعد، بعدها وأثناء نقاهتي كنت في كلّ لحظة أفكّر بأوضاعنا العامّة في البلد، وما نعيشه من فقر وفساد ومن قتل للأبرياء الذين كانوا يتظاهرون سلميّاً، وقرّرت أن أنضمّ إلى الثورة. خرجت في أوّل مظاهرة لي وكنت أصرخ حرّيّة حرّيّة بقلب مجروح، وبعدها انخرطت في العمل العسكريّ حين سدّوا أمامنا كافة الحلول الأخرى. استشهدت زوجتي، كيف يمكن أن أنسى؟ وضعي الصحّيّ مقبول رغم إصابتي وهذا يدفعني ألّا أترك سلاحي أبداً، كنت في الحصار ولم أعانِ منه بشكل كبير إلّا في الأشهر الثمانية الأخيرة قبل خروجنا، وبشكل خاصّ الأشهر الأربعة الأخيرة، كانت موتاً بطيئاً، لم يكن يتوفّر للجريح من علاج إلّا حبوب السيتامول منتهية الصلاحيّة، رأيت أحد الجرحى يصرخ من الألم ويناشد أصدقاءه أن يطلقوا عيه رصاصة كي يرتاح، لا دواء ولا طعام، والكثير من الجرحى ماتوا لنقص الأدوية والأغذية. أنا اليوم أنتظر استعادة توازني الجسميّ والنفسيّ لأفكّر بالطريقة الصحيحة للرجوع إلى حمص العديّة. أحلم بـزوال بشّار الأسد وضبّاط الأمن المجرمين وأن ترجع حمص بكلّ أطيافها.. بالمناسبة أنا لا أحقد على العلويّين المغلوبين على أمرهم، فعندما أسرنا عناصر للنظام كان من بينهم علويّين وإسماعيليّين وبعد نقاشنا معهم اقتنعوا بأنّ عائلة الأسد تأخذهم إلى الهلاك، حتّى أنّهم بقوا معنا إلى ما قبل عدّة أشهر. ونحن من أرسلهم ليسلّموا أنفسهم، وليقوموا بتسوية... ليك أخي مو كل علوي خائن، ولا كل سنّي مع الثورة...».

الجوع أحقر حصار

أحد الحاضرين تطوّع أن يعطينا تلخيصاً موجزاً عن أوضاع المحاصرين في الشهور الأخيرة بطريقته الخاصّة التي لا تخلو من الطرافة: «أحقر حصار هو حصار الجوع، ولا ننكر نجاح عصابة الأسد باستخدام هذا السلاح، لكن الذي لم نستطع حتّى اليوم تصديقه هو هذا الخذلان الذي تعرّضنا له من كلّ الجهات العالميّة والمحليّة، كيف قبلوا أن يتركونا لنموت من الجوع؟ هذا ما لا يصدّقه العقل! أخي أن تموت وأنت تقاتل فهذا شيء عاديّ، أما أن تموت لأنّك لا تستطيع حمل البندقيّة من الجوع لتدافع عن نفسك فهذه كانت خيانة العالم أجمع... كانت أحوالنا مقبولة إلى ما قبل ستّة أشهر، عندما نفذت كلّ أنواع الحبوب التي كنّا قد حصلنا عليها من المحلّات التجارية والبيوت التي غادرها أهلها، ولم يتبقّ لنا إلّا بعض قبضات اليد من البرغل الجاّف وبعض النباتات والحشائش ولكنّ الحقّ يقال كانت لدينا كمّيات من البهارات تكفي لسنوات.. اضطررنا أن نلجأ إلى الأعشاب وكان بحثنا عن الأعشاب يستغرق أكثر من خمس ساعات يوميّاً لنستطيع طبخ الشوربا ذات المكوّنات الربّانية: كأس صغير من البرغل المتبقي مع كمّيّة الأعشاب التي تمّ جمعها وكمّيّات هائلة من البهارات والماء، كنّا نتركها تغلي على خشب الأبواب والشبابيك التي نستخرجها من البيوت المقصوفة والمهدّمة، وفي النهاية نحصل على وجبة (شهيّة) تكفي دزينة من المقاتلين... اكتشفنا أنّ ورق الفجل ينمو بسرعة مذهلة، حتّى أنّ بعض الشباب بدؤوا باستنباته بسرعة أكبر عن طريق وضع بذور الفجل على الخيش المبلّل بالماء، كانت سرعة ظهور الأوراق سحريّة، كان الفجل نبات الحياة بالنسبة لنا، وطبعاً لن ننسى فضل أوراق الكينا التي كنّا نمضغها بعد غسلها... في أيّام الجوع الشديد كنّا نقوم بهجومات على مواقع متقدّمة للنظام فقط بهدف الحصول على شيء نأكله، كنّا نحاول إخافتهم من أجل أن يهربوا فيتركوا لنا بقيّةً من الطعام. في إحدى المرّات وجدنا لديهم صندوقاً كاملاً من المعلّبات على غير ما يمكن أن نتوقّع.. رقصنا رقصة الحياة، فتحنا إحدى العلب، ولسبب لا أفهمه ومازلنا نتساءل عنه حتّى اليوم، قال أحد المقاتلين: ربّما كانت مسمومة.. ويا ليته لم يتكلّم، وضعنا العلبة المفتوحة لإحدى القطط، وكانت جائعة مثلنا، لقمتان فقط كانتا كافيتين لقتلها، حفرنا حفرة وطمرنا صندوق المعلبات، بعد شهر حاول أحد الشباب العودة وفتح الحفرة من جديد وإخراج صندوق المعلبات، مبرّراً فعلته: هيك هيك مَيّتين.... منعناه بالقوّة.»

عدسة: أشرف داغستاني

١٤ رضيعاً ماتوا من الجفاف

يتحدّث (عبد الباسط ص) عن أوضاعه المادّيّة ما قبل الثورة فيصفها بالسيّئة جدّاً «كانت المخابرات هي الربّ الأعلى في حمص، وعندما بدأ الشباب بالهتاف الله أكبر، أحسستُ بأنّي عملاق، وبدأت بالهتاف، أنا لا أصدّق كيف عشنا وعاش آباؤنا كلّ هذا القمع والذلّ. في الحصار كان الوضع صعباً للغاية، وأصعب ما فيه هو الشهداء الذين خسرناهم بسبب نقص الأدوية والموادّ الطبيّة، رأيت مصاباً دخل في غيبوبة لمدّة شهر بسبب إصابته بشظيّة في رأسه ولم يتوفّر له العلاج حتّى استشهد، ورأيت حالات عديدة من قطع الأطراف كان يمكن أن تعالج لو كان هناك إمكانيّات ومواد طبيّة. ماذا سأقول عن الحصار أيضاً؟ كنّا نلمس الجوع الحقيقيّ في عيون أربعمائة طفل كانوا معنا مع أهاليهم، مات منهم أربعة عشر رضيعاً من الجفاف، هل أحدّثك عن الصاروخ الذي قتل امرأة وأطفالها الخمسة؟.. خيّو بصراحة، كسروا ضهرنا المدنيّين المتواجدين معنا، أطفال تبكي وتريد أن تأكل...» صمت عبد الباسط وافتقد الطاقة على المتابعة وفي وجهه إضافة إلى دمعة محبوسة كان يتجمّع الكثير من القهر والإحساس بالخذلان.

كان (فؤاد ب) موظّفاً حكوميّاً، ويذكر مبتسماً أنّه في بداية الثورة خرج في مسيرة مؤيّدة للنظام: «تواجهنا أثناء المسيرة مع حوالي عشرين شخصاً عند الساعة الجديدة كانوا يهتفون لإسقاط محافظ حمص، وهجم عليهم المؤيّدون، ومن بين المهاجمين عناصر أمن، ضربوهم وركلوهم بطريقة وحشيّة، حتّى أنّهم كانوا يضعون أحد الفتية في سيارة الأمن ويركلونه ومن ثمّ يعودون ليقذفوا به من السيّارة بين أرجل المؤيّدين ثانية، ما رأيته بأمّ عيني يضع العقل بالكفّ، منذ ذلك اليوم قرّرت أن أترك عملي وأنضمّ إلى الثورة. في حمص المحاصرة، فقدت ثلاثة عشر صديقاً دفعة واحدة من بينهم أخي عدنان، ليرحمهم الله، كان صاروخاً فراغيّاً أطبق البناء عليهم جميعاً. عانينا في الحصار كلّ ما تتخيّله من جوع وقسوة، ولم تضعف عزيمتي إلّا بعد إصابتي يوم سيطرنا على (جبّ الجندلي)، سأشفى من إصابتي وسوف أرجع إلى حمص، وإن وجدتُ الأمر متعسّراً سوف أذهب إلى اللاذقيّة، وبرأيي فإنّ تمّت السيطرة على (القرداحة) سيسقط النظام ويسقط مشروع إقامة الدولة العلويّة الشيعيّة. أنا لا أعرف كيف أصف خروجنا من حمص، هل هو نصر ناقص أم هو هزيمة؟ ربّما تكون هزيمة ولكنّنا لسنا المهزومين. فنحن لم نعد نقوى على الوقوف بأسلحتنا أكثر من ساعات قليلة بسبب ضعف أجسادنا... وقد شهدنا وعانينا في الحصار ما يعجز عن تحمّله بشر. مرّة سقط صاروخ كافر على إحدى الشقق، كان هناك الكثير من الشهداء وكان من بينهم ثلاثة إخوة ذهب أحدهم ليحضر الأمّ، وأخبرها أنّ ابنها عبد الرزاق قد استشهد وعرض عليها مرافقتها لوداعه، لم يتجرّأ الشاب أن يخبر الأمّ باستشهاد أبناءها الثلاثة دفعة واحدة، وصلت الأم الى الشقّة المدمّرة لترى جثث أبنائها الثلاثة ممدّين على الأرض، كانت عيونها زائغة وتتحوّل بين وجوه أبنائها والسماء، أخيراً نظرت إلينا وقالت بصوت متهدّج: الحمد لله أنّهم كانوا مع بعضهم، إخوة في الحياة وإخوة في الممات..».

حكاية لن تنتهي

لم ولن تنتهي حكايات هؤلاء الأبطال، ولكن كان لا بدّ لنا من تركهم لاستراحة المحارب التي يقضونها والتي يستحقّونها، ودّعناهم ومضينا، يمكن أن نكون قد تلمّسنا في هذا اللقاء العفويّ بعضاً من مقوّمات أسطورة الصمود لهذه المدينة المعجزة، ولكنّ رواياتهم جعلتنا نحمل معنا الأسئلة الكبرى حول أسرار سقوط هذه المدينة رغم التضحيات الأسطوريّة التي قدّمها هؤلاء المقاتلون. أسئلة لن يكون بمقدور هؤلاء الشبّان الشجعان الإجابة عنها، وربّما يجب توجيهها أو رميها بوجه الممثّلين السياسيّين والعسكريّين للمعارضة السوريّة التي مهما برّرت فإنّها لن تمتلك الإجابات التي سوف تفي دم الشهداء.

إبراهيم بيرقدار ـ مالك داغستاني

يوميّات حمص.. يوميّات الحصار

مالك داغستاني

ليست مجانبةً للصواب إعادة التأكيد بأنّ السوريّين لم يعرفوا بعد الفاعلين الحقيقيّين في الثورة السوريّة، وأنّ الكثير من الأسماء التي طفت إلى السطح واحتلّت الفضائيّات أو وسائل التواصل الإجتماعيّ لفترات إنّما هي أسماء عابرة وتعيش على هوامش الثورة الحقيقيّة.

منذ بدايات العام ٢٠١٢ كثيراً ما سمعت عدداً من الأصدقاء يتداولون بشيء من التكتّم إسم «الدكتور أبو علاء» وعمله في المشافي الميدانيّة والنقاط الطبّيّة في الثورة، وبشكل خاصّ مرافقته للكتيبة التي يقودها صديقه «عبد الباسط الساروت»، البطل الأكثر شهرةً وشعبيّة في الثورة السوريّة. وبطبيعة الحال فإنّ تواتر القصص عن شخص ما سوف يجعل المرء يبني صورة ما لهذه الشخصيّة في الخيال، وأنا لم أكن حالة شاذّة، فوقعت طائعاً في أحابيل الروايات التي كنت قد سمعتها ورسمت لـ»لدكتور أبو علاء»، صورة من أهمّ مقوّماتها القوّة البدنيّة ووضعت له دون التورّط في الأرقام عمراً يناسب خوضه للعديد من المهمّات التي كانت تبدو لي أحياناً أنّها مستحيلة.

في الشهر الأخير غادر «الدكتور أبو علاء» حمص المحاصرة، وكان لي أن قابلته، لأكتشف هذه الشخصيّة ولأكتشف معها تأثّر تصوّري الذي ما زال ينطوي على شيء من القصور التقليدي في بناء صور الأشخاص الذين لا نعرفهم. لم يكن «أبو علاء» إلّا شابّاً لم يبلغ الخامسة والعشرين بعد، رقيقاً وبالغ التهذيب بروحٍ شديدة العذوبة يحملها جسد يناسب عمره، ووجه يشي بالطيبة والذكاء والحساسية العالية. إذاً «الدكتور أبو علاء» في الحقيقة ليس طبيباً (سأكتشف فيما بعد أنّه عمليّاً وميدانيّاً طبيب تخدير وإنعاش فائق المهارة) هو خرّيج المعهد الصحّي في جامعة حمص قسم التخدير

وتخرّج منه متفوّقاً، الأمر الذي أتاح له الإنتقال إلى كليّة الطبّ لكنّه لم يفعل: «كانت قد انطلقت الثورة».

النقطة الطبّيّة بيتنا

يبدأ»الدكتور أبو علاء» مما قبل الثورة:

«كنت قد عملت في مشفى البِرّ حتّى قبل تخرّجي وخضعت لدورة تدريبيّة في التخدير والإنعاش والعناية المشدّدة بعد جراحة القلب، وعندما انطلقت الثورة كنت على رأس عملي، وكانت مشاركتي في الثورة بدايةً كباقي أصدقائي في المظاهرات، خاصّة في حي الخالديّة حيث أسكن مع عائلتي، ولم أفكر أبداً أنّ مشاركتي هذه سوف تقودني إلى المجال الطبّيّ، خاصّة في البدايات حيث لم نتوقّع الحاجة إلى كلّ هذه المجهودات والأعمال الطبّيّة التي احتاجتها الثورة بمواجهة النظام. وأساساً لم أكن أمتلك قدراً من الخبرة تجعلني أتصوّر أنّني سأنتهي لما انتهيت إليه اليوم.»

«عندما بدأ سقوط الجرحى والشهداء بدأت أبحث عن هؤلاء الذين يسعفون الجرحى كي أنضمّ إليهم وأساعدهم، وهكذا كان، وبقي عملنا ضمن تكتّم أمنيّ شديد، لدرجة أنّني عملت مع طبيب هو جاري في الحيّ ولم أعرفه بسبب اللثام، كانت الأيّام الأولى صعبة أمنيّاً بسبب قدرة النظام على الوصول إلى أيّ مكان. وتابعت عملي في مشفى البِرّ وكانت الإصابات بداية تصل بمعظمها إلى هناك، ومن هناك كان الأمن أحياناً يعتقل المصابين. ثمّ بدأ العمل الطبّيّ في الخالديّة وكان ذلك ضمن مخزن، بتجهيزات متواضعة، وبعدها تمّ افتتاح نقطة طبّيّة إسعافيّة كانت تسمّى نقطة «الإيمان». وهناك بدأ عملي الفعليّ في نهايات عام ٢٠١١.. كنّا نعالج معظم الحالات كي نتجنّب إرسالها إلى المشافي حيث أصبحت الخطورة الأمنيّة أشدّ، وكنّا نحمل أرقام موبايلات لم تكن مسجّلة بأسمائنا من أجل التواصل والإسعاف، لأنّنا كنّا ما نزال نعيش حياتنا الطبيعية دون أن نُكشف أمنياً. ومع مرور الوقت قام الجيش باقتحام مشفى البِرّ والمشفى الوطني، فأصبحت نقطة «الإيمان» هي المشفى المتاح، وكنّا نتعامل معها على أنّها بيتنا الآخر، حيث لا يستطيع الأمن الوصول إليها بسبب أنّها من ضمن مناطق سيطرة الجيش الحرّ.»

اختلفت حياتي بعدها

«يوم مجزرة الخالديّة كان يوماً مفصليّاً. كنّا يومها في نقطة الإيمان ودون عملٍ تقريباً ومساءً سيطر عناصر من الجيش الحرّ على حاجز البيّاضة وكانوا عائدين بسياراتهم وهم يهلّلون وكنّا نسهر في المشفى وعلى غير العادة كان دخان الأركيلة يملأ الغرفة وكنّا نمزح فيما بيننا: ماذا لو جاءتنا أيّة حالة إسعافيّة ونحن في هذا الجوّ من الضباب؟ فجأة وصل المرحوم «بلال الونيش» بسيارته وكان يحمل أربعة جرحى إصاباتهم خطيرة. ومضى دون أن نفهم من كلامه شيئاً. ومع مرور الدقائق بدأت أعداد المصابين تتزايد بسرعة لا تتناسب مع الإمكانيّات المتاحة، أيدي مبتورة وعيون مصابة وجراحات بطن. لم نكن قد اعتدنا بعد على هذه الأعداد من الإصابات لنصنّفها ونرشح الأشدّ خطورةً ونقوم بتبريد الحالات الأخرى، أي توقيف خطورتها بما يُمكّنها من الإنتظار، كانت خبرتنا في السيطرة على هكذا كم محدودة جدّاً، يومها أصابنا إرباك شديد، ومرّ بعض الوقت حتّى استطعنا السيطرة على أعصابنا وأنفسنا. كان معظم المصابين من معارفنا وأصدقائنا. يومها استشهد مظهر وأصيبت عين أنيس وهم أصدقائي، كان يوماً قاسياً عليّ شخصياً فلم أستطع ضبط مشاعري ولم أتمكن تماماً من الفصل بين العمل المهنيّ والمشاعر الشخصيّة. بقينا حتّى صباح اليوم التالي ونحن نتنقل بين النقطة الطبّيّة وصالة المسجد القريب ومشفى «الأمل»، حاولنا أن نوزّع أنفسنا بطريقة مدروسة إلى حدٍّ ما. كنّا طبيباً وثلاثة فنّيي تخدير وثلاث شابّات قمن بأعمال التمريض، سوسن ونادیا وأم عبدو. كان عددنا قليل جدّاً قياساً لعدد الإصابات فاستشهد أناس بسبب نقص القدرات الطبّيّة، لأنّنا لم نتمكّن من التعامل معها في الوقت المناسب؟ كانت الحاجة للدم هائلة، قمت ليلتها بسحب حوالي ٨٥ كيس دم من المتبرّعين. عملنا يومين متواصلين دون نوم على الإصابات بالإسعافات الأوليّة حتّى يتمكّن مشفى «الأمل» من استقبالها، كان الضغط هائلاً. بعد المجزرة ستختلف حياتي كليّاً، ابتعدت عمّا يمكن تسميته بالحياة الطبيعيّة وأصبحت متفرّغاً كليّاً للثورة وصرفت النظر عن متابعة دراستي.»

«أوضحت لنا مجزرة الخالديّة أنّ النظام مُقدِم على جرائم لم تكن تخطر ببالنا في بدايات الثورة، ولذا حوّلنا نقطة «الإيمان» إلى مستودع وانتقلنا إلى مدرسة قريبة وأخذنا منها طابقاً كاملاً، وتصادف ذلك مع تحرير المشفى الوطني فنقلنا منها العديد من الأجهزة إلى المدرسة. أصبح لدينا «مونيتورات» و»منفسة» ومستلزمات العناية المشدّدة واستطعنا تأمين جهاز تصوير شعاعيّ من خارج المدينة، بعدها بفترة فرغت الخالدية من معظم سكّانها الذين نزحوا عنها بوتيرة سريعة بعد سقوط البيّاضة وديربعلبة وخفّت أعداد المدنيّين وبالتالي أعداد المصابين، فالمقاتلين يمتلكون الخبرة في كيفيّة حماية أنفسهم عكس المدنيّين التي كانت معظم الإصابات في أوساطهم في الفترة السابقة، وزاد عدد المتطوّعين للتمريض في المشفى فقرّرتُ العودة إلى حي الوعر، وأذهب بين فترة وأخرى إلى مشفى المدرسة، بعد فترة وأنا في الوعر تمّ حصار الأحياء المحرّرة وكامل حمص القديمة فبقيتُ في الوعر، ومع ذلك تمكّنتُ في إحدى المرّات من تجاوز الحصار بطريقة سرّية وبقيت فترة أعمل في داخل حمص المحاصرة وعدت وخرجت، كانت هناك دائماً محاولات للعودة، كنت في كلّ مرّة أرتدي الثياب السوداء ليلاً وأذهب للمكان المحدّد ولم ننجح في العبور.»

الهلوسة والشريان

« أحد الأيّام اتصل بي عبد الباسط الساروت، وأخبرني أنّ كتيبته (شهداء البيّاضة) كانت في دير بعلبة، واقترح عليَّ الإلتحاق بهم لعدم وجود أحد من الطبّيّة برفقتهم، وهنا أودّ القول أنّ وجود نقطة طبّيّة أو مسعفين مع المقاتلين كانت بالغة الأهمّيّة فهي تقوّي من معنويّاتهم وعزيمتهم وتعطيهم إحساساً عالياً بالدعم فيصمدون أكثر، إنّهم يشعرون بالطمأنينة بأنّهم سوف يتلقّون المساعدة الطبّيّة عندما يحتاجونها، حاولنا كثيراً الوصول لدير بعلبة ولم ننجح في البداية، لكن أخيراً أمّن لنا «باسط» الطريق، فالتحقنا بهم أنا وزميل لي وطبيب عام تطوّع للذهاب معنا أيضاً. بقيت يومين في الطريق بين حيّ الوعر ودير بعلبة حيث لا يحتاج الطريق في الظروف الطبيعيّة لأكثر من نصف ساعة. هناك عانينا في البداية من نقص في المعدّات والأدوية حيث كانت شبه معدومة، وبقينا ستّة شهور حتّى كوّنّا ما يمكن اعتباره نقطة طبّيّة تحتوي جهاز أشعة أدخلناه من طريق حربيّ، لأنّنا أيضاً كنّا نعاني من الحصار، وقمنا هناك بإسعاف العديد من الجرحى، ومع ذلك لم تكن كلّ أوقاتنا عمل بل كنا نعيش لحظات أو فسحات من المرح والغناء أحياناً. في تلك الفترة أصيب «باسط» بطلقة قنّاص في قدمه وانقطع لديه الشريان انقطاع جزئيّ فأسعفناه بالمتاح. وإن كنت تذكر الفيديو الشهير الذي يظهر فيه باسط وهو يهذي ويصرخ من أجل فتح الطريق للعائلات، هنا كنت قد أعطيته «كيتامين» وهو مخدّر من أعراضه أنّه يسبّب الهلوسة والهذيان ونحن عادة نعطي معه دواء آخر يهدّئ المريض ويمنع الهلوسة، هذا الدواء يومها لم يكن متوفّراً. أرسلناه بعدها للريف الشماليّ لوصل الشريان.»

عدسة: قحطان حسّون

حزب الله والغازات السامّة.. لأوّل مرّة

«تغيّر الحال تماماً عندما بدأت القوّات الموالية للنظام محاولات جدّية لاقتحام دير بعلبة من جهة حيّ العبّاسية، كانت تلك هي المرّة الأولى التي نرى فيها المقاتلين اللبنانيّين من حزب الله، ولأوّل مرّة نرى في صفّ النظام قوّات عقائدية. كانت الإصابات لدينا كثيرة وخطيرة أيضاً ممّا جعلني أستعيد ذكريات مجزرة الخالديّة، ومع ذلك لم يستطيعوا التقدّم إلى أن قصفوا مقاتلينا بالغازات السامّة، وكانت الخطّة يومها هي فتح الطريق إلى حمص المحاصرة، وكان قد تمّ تجهيز مواد غذائيّة وستر واقية وحتّى صناديق الدخان لحملها معنا، وكان التنسيق مع بعض المقاتلين من داخل الحصار، فقام مقاتلو الحصار بالوصول للبيّاضة من أجل التلاقي معنا. هنا ظنّت قوّات النظام أنّنا قد فتحنا الطريق وكانت ردّة فعله هي القصف بالكيماويّ ويومها استشهد «أبو أسعد الشركسي» الذي قاد المعارك لملاقاتنا من داخل الحصار. ويومها تعرّفت لأوّل مرّة إلى الأعراض الثانويّة للغازات السامّة، وخضت تجربة علاج مثل هذه الحالات بجلسات الرذاذ و»الهيدروكورتيزون» و»الأتروبّين» الذي كنّا نستخدمه أساساً للإنعاش لكن الكميّات نفدت بسرعة، في اليوم التالي فوجئنا بتكرار الأعراض دون قصف واكتشفنا فوراً أنّ السبب هو الغازات التي ما زالت عالقة في الثياب والجلد فقمنا بغسيل كلّ شيء. استمرّت الحملة بقوّة وسط إنهاك المقاتلين بسبب الغاز وبدأ سقوط بعض الجبهات، قضينا عدّة أيّام تقريباً دون نوم، إلى أن حوصرنا تماماً وكانت لدينا العديد من الإصابات إحداها شلل رباعيّ فثبتنا المصاب على لوح (هو باب خزانة) ووضعنا له بدل طوق الرقبة كرتون، وكانت لدينا إصابتا بطن جراحيّ حادّ، وكنّا نتوقّع وفاتهم لكن بمعجزة ما نجوَا. في اليوم الأخير أصيب صديقي وهو مهندس كمبيوتر على باب المشفى، وكانت إصابته بالفكّ السفليّ، وكانت ميليشيات الأسد قد اقتربت جدّاً من المشفى فأسعفته ووضعت له أنبوب رغامي، وكانت الكتيبة قد اتّخذت قراراً بالإنسحاب نتيجة الإنهاك الذي خلّفته الغازات السامّة، وتمّ الإنسحاب مشياً على الأقدام مع سيارة واحدة فقط للجرحى بعد أن أعطيناهم المسكّنات اللازمة ليحتمّلوا الطريق. مشينا أكثر من ٢٠ كيلومتراً لتفادي الحواجز، كانت رحلة شاقّة وحصلت اشتباكات في الطريق وسقط من مقاتلينا جريحان، لقد مشينا حوالي ثماني ساعات. وكان اليوم الأكثر إنهاكاً لي في الثورة، رغم أنّ المقاتلين لم يقبلوا أن أحمل معهم شيئاً من العتاد، بل على العكس عندما كنّا نتأخّر عنهم قليلاً كمسعفين كانوا يقلقون علينا، قال لي أحد المقاتلين: مشان الله قّلي إذا تعبت.. والله بشيلك. ومع ذلك من شدّة تعبي خلعت سترتي ورميتها في الطريق، لم أكن أريد شيئاً سوى أن أصل، وصلنا مع الفجر، دخلت بيت أناس لا أعرفهم من قبل، صافحتهم والتقطت عيناي طعاماً فتوجّهت نحوه دون إذن ثمّ انتبهت فسألتهم: هل ما أفعله معيب، فضحكوا وقالوا: لا.»

«بقينا في الريف فترة وخرجت خلالها إلى تركيا برفقة مصابين، وهناك قدّمت شهادتي عن استخدام الغازات السامّة في حمص وعدت سريعاً وحملت معي حقيبتين كلّ واحدة منهما تتضمّن مستلزمات النقطة الطبّيّة كاملةً. كانت عودتي عن طريق الريف الشرقيّ لحمص وتعرّفت حينها على أجواء الصحراء التي لم أكن أعرفها من قبل فاتّصل «باسط» وأخبرنا أنّه ذاهب إلى باباعمرو عبر طريق إلتفافي طويل وسوف يمر ّبنا في طريقه، وسألنا إن كنّا سنرافقه إلى باباعمرو وبالطبع أجبنا بالإيجاب. وصل «باسط» وباقي الكتيبة مشياً وكان مقاتلو الكتيبة يمازحون «باسط» لأجل كلّ هذا المسير الشاقّ، كانوا خفيفي الظلّ رحمهم الله، هو كان دائماً يقدّم عرضه على النحو التالي: أنا سأذهب للمنطقة كذا، لا يوجد دخّان ولا طعام ولا نقود، ويقدّم لهم أسوأ الإحتمالات وبعدها يسألهم: من سيذهب معي؟ ودائماً جميعهم كانوا يوافقون ومع ذلك لا يخلوا الأمر من تذمّرهم الساخر في الطريق. كانت الخطّة أن نقطع كامل الريف الشرقي لحمص كي نصل إلى يبرود ومن هناك سنتوجّه جنوباً إلى القصير ثمّ ندخل باباعمرو. كانت الطريق طويلة ووعرة، نمت في أماكن لم أكن لأتخيّل أنّي قد أنام فيها، وكنّا نمرّ بأماكن خطرة حيث توجّب أن نتحدّث همساً، أصابني الإنهاك فقد كنت أحمل حقيبة النقطة الطبّيّة على ظهري ووزنها حوالي ٥٠ كيلو واضطررت في بعض اللحظات لمساعدة المقاتلين في أحمالهم أيضاً. قطعنا الطريق الدوليّ متوجّهين ليبرود وهناك علمنا أنّ معركة باباعمرو الثانية قد انتهت وانسحب المقاتلون منها فقرّرنا العودة إلى الريف الشماليّ، وكان علينا أن نقطع نفس الطريق ثانيةً، ومن حسن الحظّ أنّه تمّ تأمين سيارات في العودة، وعدنا.»

ماني مقطوف من شجرة ولا نازل من الحنفيّة

يشرد»الدكتور أبو علاء» ثمّ يعود:

«كانت حياتي كلّها قد انقلبت رأساً على عقب، أنا الطالب الذي كنت أفكر في التخرّج من كليّة الطب، وكنت أعيش حياتي بطريقة ناعمة، وجدت نفسي شيئاً فشيئاً أقضي حياتي متنقّلاً بين الجبهات ومع ذلك كنت سعيداً جدّاً بهذا التحوّل الدراميّ في حياتي وراضياً تماماً عمّا أقوم به.»

«أقمت في تلبيسة وكنت أناوب في مشفاها، إلى أن حصلت معركة الدوير، وحضرتها كاملةً وأشعر دائماً بالرضا أنّه من أصل ٤١ إصابة حدثت، نجا الجميع وكان الشهداء فقط هم من فقدوا حياتهم في أرض المعركة وتمكّنت من تأمين الإسعافات الضروريّة واللازمة لكافّة الحالات لتتمكّن من الصمود حتّى وصولها إلى المستشفى المختصّ، إن كان بالرستن أو تلبيسة حسب الإختصاص. **التتمة الصفحة ١٠**

خطوة لا بدّ منها نحو المجتمع المدنيّ

كلنا إنّ المجتمع الأهليّ بمكوّناته معيق للتحوّل الديمقراطيّ ومانع لبلورته كمنهج في حياة المجتمع

شكّل المجتمع الأهليّ نقلة نوعيّة وطفرة حضاريّة من الهمجيّة والتفرّق العائليّ إلى مستوى أرقى (قبل تأسيس الدولة)، وحافظ على ملايين البشر من الانقراض والموت المحقّق في الحروب والمحن الرهيبة والكوارث الطبيعيّة التي تعرّضوا لها، ولكن مع تطوّر الحياة وتقدّم البشريّة الحضاريّ وظهور المدن الكبيرة، أصبح تنظيم الحياة الاجتماعيّة القائم على مؤسّسات المجتمع الأهليّ عائقاً أمام شكل أكثر تطوّراً وأرقى وأكثر حضارية وازدهاراً ألّا وهو مؤسّسات المجتمع المدنيّ.

إنّ المجتمع الأهليّ بمكوّناته معيق للتحوّل الديمقراطيّ ومانع لبلورته كمنهج في حياة المجتمع، كونه محكوم بروابط ومحددات أوّليّة تحيل الإنسان فيه إلى انتماءاته الأوّليّة التي لا إرادة له فيها، وتجعله يعمل في الوقت نفسه، على ترسيخها وتقويتها نتيجة عمليّات التنشئة الاجتماعيّة التي تقوم بها مؤسّسات أهليّة، أو حكوميّة، تعيد إنتاج عناصر انتماءاته، وترتب أولويّاتها بما يخدم توجّهات هذه المؤسّسات، إن كانت مجسّدة لمتّحدات اجتماعيّة تتميّز باختلافاتها الدينيّة، المذهبيّة، أو الأثنيّة؛ أو معبّرة عن توجّه أجهزة الحكم في الحفاظ على ما هو قائم، وترسيخه بتعميق جذور أيديولوجيتها المبنيّة على الوفاق والتوافق المنتجين بطبيعتهما للانقسام ومن ثمّ للتسوية.

المجتمع الأهليّ له مقوماته وخصائصه ومكوّنات وجوده وآليّات الدفاع عن هذا الوجود، التي تتناسق جميعاً وتتكامل للمحافظة على وجوده وللدفاع عن كلّ ما يعيق تدبّر أموره، ويعمل على إقصاء ما يعطّل توجّهه، ويستعمل في عمليّة الإقصاء هذه شتّى أنواع العنف وصولاً إلى القتل الرمزيّ بهدر الدم.

المجتمع الأهليّ لم يعد قائماً بخصائصه التي نشأ عليها لعدم قدرته على الثبات في وجه رياح التطوّر والتغيير، ولا على تلبية متطلّبات الحياة الحديثة، ولم يتحوّل في الوقت نفسه إلى المجتمع المدنيّ بخصائصه ومتطلّباته وعناصر وجوده.

خسر المجتمع الأهليّ نفسه، ولم يحظ بانتمائه المدنيّ، ذلك أنّ المجتمع المدنيّ كمفهوم ينهض على عناصر أساسيّة، أوّلها الشعور والوعي بالانتماء إلى المجتمع والدولة، وثانيها المراقبة والمساءلة بما تسمح به الديمقراطيّة كنظام حكم ومنهج سلوك، والعمل على تطوّر الممارسة العمليّة الفرديّة من خلال وعي الحقوق والواجبات والعمل بموجبهما حسب ما يقتضيه وعي المواطنة ويفرضه الحسّ المدنيّ في العلاقة مع الذات ومع الآخر.

بهذا المعنى، المجتمع الأهليّ «طبيعيّ» باعتباره حصيلة الانتماءات الأوّليّة للإنسان، والمجتمع المدنيّ «مصنوع» باعتباره حصيلة ما يقوم به الإنسان نفسه، بالوعي والإدراك والتنظيم الاجتماعيّ باعتبارها، جميعاً، عوامل أساسيّة في تحوّل المجتمع من طبيعته الأهليّة إلى حالته المدنيّة. وأولى هذه التحوّلات نقل مسألة الانتماء من حالة القرابة والعصبيّة القائمة على هذا الانتماء الطبيعيّ إن كان على مستوى الأسرة أو العائلة، أو على مستوى الانتماء الدينيّ وتفرّعاته المذهبيّة والطائفيّة، إلى حالته المدنيّة القائمة على الانتماء المشترك للناس جميعاً على اختلاف انتماءاتهم الفرعيّة، انتماء على قاعدة المواطنة التي تتصدّر الانتماءات جميعاً دون أن تلغيها. من هنا القول إنّ هذا الانتماء صناعة تنهض على التنشئة الاجتماعيّة والتربية المدنيّة بالقول والممارسة لإعادة ترتيب الأولويّات ولجعل الانتماء الوطنيّ والقوميّ المُوجّه لهذه الانتماءات والعامل على احتوائها.

في المجتمع الذي لا يزال في مرحلته الانتقاليّة من مجتمع أهليّ إلى مجتمع مدنيّ تقوم بالنشاط فيه مؤسّساتٌ رسميّة، ومدنيّة، وأهليّة، تعمل إمّا على إبقاء المجتمع في حالته التي تتناسب مع توجّه الدولة وأيديولوجيتها، فتعمل المؤسّسات الرسميّة، تربوية كانت، أو سياسيّة، اجتماعيّة أو ثقافيّة أو اقتصاديّة، على ترسيخ هذا التوجّه، أو على استكمال نقل المجتمع من حالته الأهليّة إلى حالته المدنيّة بالعمل على نقل الفرد من تبعيّته لروابطه الأهليّة إلى الانخراط، بالإرادة والوعي، في روابط مجتمعيّة مدنيّة من خلال العمل على إنشاء الوعي بالذات، ووعي الانخراط في مجموع تتأمّن فيه مصلحته، ويشعر بأهمّية الانتماء المتولّدة من الإحساس بالإرادة الواحدة والمصير المشترك الواحد المتناسبين بدورهما مع توسيع مساحة المصلحة العامّة. وهذه جميعاً لا يمكن إنتاجها إلّا من قبل المؤسّسات المدنيّة في المجتمع، أمّا مؤسّسات المجتمع الأهليّ، فهي تعمل، وبأكثر الوسائل تحديثاً، على ترسيخ روابط المجتمع الأهليّ بانتماءاته الأوّليّة القائمة على عصبيّة القرابة مهما كانت تفريعاتها والانطلاق منها، كأولويّة انتماء، إلى بناء علاقاتها مع الخارج، إن كان هذا الخارج على حدود الولاءات الفرديّة التي تتحكّم بها اعتبارات القرابة والمكان، أو على حدود الطائفة التي تتحكّم بها اعتبارات الولاء الطائفيّ تجاه بقيّة الطوائف، أو على حدود الدين التي تتحكم بها اعتبارات الولاء للدين الواحد تجاه بقيّة الأديان.

في هذا المناخ العامّ تقوم مؤسّسات المجتمع بنشاطاتها على الصعد كافّة، فكيف يمكن، والحال هذه، الإفادة من هذه النشاطات في ترسيخ عناصر المجتمع المدنيّ، إن كان على مستوى الممارسة اليوميّة بما تتيحه الديمقراطيّة في النظر إلى الذات وإلى الآخر، وفي قبول حقّ الاختلاف تحت سلطة القانون وحكم المؤسّسات ومنطق المساواة كما تقرّرها العدالة الاجتماعيّة، أو كان على مستوى صوغ ما يمكن أن يحوّل الفرد إلى مواطن يدرك تماماً ما تعنيه المواطنة، وما يفرضه الحسّ المدنيّ في الوعي والممارسة.

هنا تظهر الحاجة ماسّةً إلى المؤسّسات التي تعمل على ما يمكن أن يقوّي عناصر المجتمع المدنيّ. ومن هذه المؤسّسات: الأحزاب والنقابات والمنظّمات الثقافيّة والروابط والاتحادات المدنيّة التي تأخذ من الإنسان وحده اهتمامها مهما كان توجّهه، وتنصرف إليه من أجل تعزيز موقعه كصاحب مصلحة في التغيير إلى ما هو أفضل لمصلحته ولمستقبله باعتباره مواطناً في النظر إلى ذاته، وفي نظر الآخرين إليه، وفي نظرته إلى الآخرين دون مفاضلة لأحد على آخر إلّا بما يتيحه موقعه ودوره في المجتمع، وبموجب هذه الاعتبارات بالذات.

مهنّد النادر

تتمة يوميات حمص

كانت تجاربي خلال السنتين السابقتين قد مكّنتني من امتلاك خبرة جيدة في الإسعاف، كانت عمليّة نقل المصابين تتمّ ليلاً وفي بعض الحالات العاجلة نهاراً ضمن سيّارة مصفّحة لأنّ النيران كانت تطالنا من كلّ الجهات. كان يوماً متعباً وكنت وحدي إلى أن وصل شباب من تلبيسة لمساعدتي، حينها اكتشفت، دون أن أدري كيف، أنّ بنطال (الجينز) الذي كنت أرتديه قد تحوّل إلى (شورت)... و(البوط) إلى (شحّاطة)، وكانت كامل ثيابي مغطّاة بالدم، بعدها سمعت شكايةً من أنّ هناك صعوبة في وصول المصابين من خطّ الجبهة إلى النقطة التي كنت أعمل بها، فاقترحت أن أنتقل أنا إليهم، وكانت تلك من أكثر المرّات التي كنت قريباً فيها من المعركة، كنت وسط المعركة. بعدها أيضاً طوّقتنا قوّات الأسد وقطعت علينا جسر العودة ولم نعد نستطيع الرجوع. تلقّينا غزارة قصف ونيران استثنائيّة، كنت من مكاني أرى سبطانة الدبابة وهي تتحرّك وتتوجّه نحونا وتقصف. تمكّنا بعدها من الإنسحاب من تحت الجسر الذي كان جنود النظام يقفون عليه. تسلّلنا من تحت الجسر كنّا نمشي في الماء ونستند إلى التراب على ضفاف نهر العاصي. عندما وصلنا إلى مناطق سيطرة الجيش الحرّ شعرت أنّني ولدت من جديد، هذا الشعور سوف يتكرّر معي في أكثر من محطّة. كنت ككلّ إنسان أمرّ بلحظات من الخوف، ومع ذلك كانت تلفّ تلك الحالات دائماً حالة من الطمأنينة الداخليّة، وأشعر أنّني ربّما أُستشهد ولكنّ خوفي الدائم كان من الإصابة والوقوع بين يديّ العدو.»

«في الفترة اللاحقة اتُّخذ القرار بنزول الكتيبة إلى حيّ الوعر فوراً، أربكني الأمر وصرت أتحسّب للمشي وصعوبات الطريق التي بتّ أمقتها، كنت أتساءل أحياناً كم هي سهلة الجغرافيا لأولئك الذين يعيشون خارج المدينة. كانت رحلتنا ليلاً ووصلنا إلى الوعر. قضيت هناك يومين ورأيت أختي الكبرى وأبناءها وكنت قد اشتقت لأهلي كثيراً. لم أكن قد رأيت أحداً منهم منذ فترة طويلة وكلّ اتصالاتي بهم كان عبر الهاتف، كنت غالباً أطمئن أمّي وأحاول عدم التطرّق للمخاطر التي كنّا نتعرّض لها، فأنا إبنها الأصغر وهي دائمة الإنشغال عليّ. عندما اجتمعت بأختي شعرت من جديد بجوّ العائلة وكنت أمازحهم وأقول: ها أنا أشعر من جديد بأنّي إبن عالم وناس، ماني مقطوف من شجرة ولا نازل من الحنفيّة. واكتشفت أنّ لي صورة جديدة وتكاد تكون أسطوريّة في العائلة وخاصّة لدى الصغار الذين كانوا فخورين جدّاً بما أقوم به.»

صلاحيّة الأدوية

«ظهيرة اليوم الثاني اتصلوا بي وأخبروني أنّنا بعد قليل سوف نعبر الحصار إلى حمص القديمة. كلّ الطرقات التي قطعتها وربّما وصفتها بالأسوأ، لم تكن تقارن بالطريق إلى حمص القديمة، وحدها الحماسة للعودة ما جعلتني أسلكه، كان القصف حولنا طوال الطريق وعبرنا نهر العاصي، كنت أسير في الماء ويحيط بي من الأمام ومن الخلف شقيقين أحدهما وهو خلفي لا يجيد السباحة. كنّا نمسك حبلاً كي لا يجرفنا التيّار، خرجنا من الماء وانتظرنا الشقيق الأصغر لكنّه لم يأتِ، كان قد أفلت من الحبل وجرفه النهر. في اليوم التالي وجدوا جثّة عبد الله على ضفّة العاصي. كان موقفاً رهيباً حتّى أنّني لم أستطع تعزية الأخ بأخيه؟ فقط رحت أشرح له بأنّ الموت غرقاً هو شهادة بحدّ ذاته، فماذا لو أضفنا إليه الهدف الذي كان الشهيد يمضي إليه؟!. دخلت إلى حمص فلم أجد حمص التي كنت أعرفها، كان الدمار الذي أصابها هائلاً، كان ذلك في الشهور الأولى من ٢٠١٣ وطبعاً فيما بعد سوف يتضاعف هذا الدمار، وسوف نكون آخر الداخلين إلى حمص فبعدها خسرنا البساتين وأصبح الحصار مطبقاً. المحاصرون فوجئوا بدخولنا وبعضهم اعتبر تصرّفنا جنوناً وجميعهم كان يسألنا: لمَ دخلتم، ونحن نمرّ بأسوأ الظروف؟ كنّا نعتقد أنّنا بدخولنا سنبعث الأمل والطاقة، ومع ذلك لم يتفهّم الجميع جنوننا هذا. في الحصار كان علينا أن نتعلّم التأقلم كلّ يوم مع الجديد، ليس هناك جديد ثابت يمكن التعوّد عليه فالغد كان دائماً يحمل جديداً آخر، لنكتشف مع الوقت أنّه في كلّ يوم كان السقف ينخفض والإختناق يزداد. وجدت مشفى كامل التجهيزات في حمص القديمة مع غرفة عمليات مجهّزة وكادر كبير وعدد من الأطباء من كافّة الإختصاصات. لكن للأسف كانت كافّة الأدوية منتهية الصلاحيّة، وكنّا نستخدم الأقمشة بعد غليها بديلاً للشاش الطبّيّ، وكان انعدام الكهرباء والإعتماد على المولّدات يسبب الكثير من الصعوبات. بعدها وبعد اشتداد الحملات على الخالديّة وتحسباً لسقوطها جهّزنا مشفى آخر في جورة الشياح وبدأتُ بالعمل وبقوّة خصوصاً في لحظات سقوط الخالديّة وقدّمت خدمات هائلة. بعد سقوط الخالديّة أصبحت الجبهة هي طريق حماة وكان المشفى يبعد عن هذه الجبهة بناءين وهذا كان الأمر الأخطر.»

«كانت مشكلاتنا الطبّيّة الأساسيّة التي أعاقت الكفاءات الطبّيّة المتوفّرة هي النقص في بعض الأساسيّات، فلم يكن هناك إمكانيّة لأيّ نوع من التحاليل، حتّى للسكّر، وكان هذا أمراً حاسماً خصوصاً في حالات الإختلاطات بعد العمليّات الجراحيّة، فلا يمكن مثلاً تميّيز الشوارد الزائدة أو الناقصة بالنظر، فكنّا مضطرّين في بعض الحالات للتعويض العشوائيّ، وحدثت وفيّات نتيجة ذلك، ومع ذلك، مع الوقت كانت قدرتنا على التمييز من خلال الشكل عاليّة جداً. ثمّ هناك حالات إصابات الرأس التي كنّا نقف أمامها عاجزين لافتقادنا أجهزة التصوير المناسبة، كان مصابو الرأس غالباً يدخلون حالات سُبات ثمّ تحدث الوفاة، أحياناً كنت أشعر خصوصاً أمام هكذا حالات أن وجودي وعدمه واحد. مع الوقت تكيّفتُ أكثر مع أدوية التخدير منتهية الصلاحيّة فصرت أعدّل بالجرعات. وكنت أستغني عن التخدير العامّ وألجأ للتخدير القَطَنيّ. كان في المشفى الآخر في حمص القديمة طبيب تخدير متميّز وصاحب خبرة طويلة، وقد استفدت من خبرته الكثير وكنت أستشيره في الكثير من الحالات الصعبة.»

الحاجة و «السيروما»

«يوم محاولة فكّ الحصار ومحاولة إحضار الطحين وفشل العملية واستشهاد أصدقائي من كتيبة شهداء البياضة شعرت أن ظهري قد كُسر، لم أستطع التصديق أنّ هؤلاء الذين قضيت معهم كلّ تلك الفترة وتنقّلنا وعشنا معاً قد رحلوا ولن أراهم ثانيةً، كانوا سنداً معنويّاً قويّاً لي، وفجأة أحسست أنّي بلا سند، وما زاد الطين بلّةً في تلك الفترة أنّ حالات وفاة بسبب «السيروما» المسمّمة قد بدأت، وهي «سيروما» وصلت للحصار من مصدر لم يكن موثوقاً ولكن تحت ضغط الحاجة الملحّة تمّ إحضارها، وسنعرف فيما بعد أنّ بعضها كان محقوناً بالسمّ. بدأت تحدث وفيّات غير مفهومة لمصابين أثناء إسعافهم، وتكرّرت أكثر من مرّة، حتّى اكتشف أحد الأطباء الأمر. كان السمّ من النوع الذي يثبّط العقدة التي ترسل السيّالة العصبيّة إلى القلب، وللأسف حدثت حالة وفاة معي لهذا السبب، كنت تقريباً قد تعافيت قليلاً من أزمة شهداء المطاحن التي مرّرت بها عندما أصيب خال «عبد الباسط» في ساقه أدخلناه غرفة العمليّات وكان يضحك ويمازح الطبيب، ثمّ قال لي: اوعدني يا خال إنّي ما إتوجّع، فوعدته.. عاد وقال لي: وعد الحرّ دين، فأجبته نعم. بعدها بدأت الأعراض وتوقّف قلبه. حاولت إنعاشه فلم يتجاوب واستشهد. هالني الأمر فإصابته كانت في الساق. كيف سأبرّر لـ«باسط» وباقي الأصدقاء وفاته؟! طلبت «باسط» إلى غرفة العمليّات وشرحت له أنّ الجراحة لم تبدأ بعد ومع ذلك توفّي، سألني «باسط» هل يمكن أن يكون السبب هو الضعف بسبب الحصار؟ فأجبت من الممكن، حُزن «باسط» على خاله كسرني، خاصّة أنّه كان قد فقد أخويه ومعظم أفراد كتيبته وهم أصدقاؤه في عمليّة المطاحن. عاش «باسط» تلك الفترة وكأنّه لا يفكّر سوى بالموت، في معركة باب السباع الأخيرة ذهب وحده للمعركة دون أن يخبر المتبقّين من أفراد الكتيبة، كنت أشعر أنّه كان يفتّش عن الشهادة ليلحق بإخوته وأصدقائه، بعدها بفترة عاد وتجاوز الحالة كما كان يفعل في كلّ مرّة، إنّه شخص قويّ بحبّ الناس المحيطين به، لقد اكتسب حبّهم بميزتين بسيطتين، إنّه صادق ومخلص، لم يكن ليأكل ولا لمرّة واحدة لو أتيح له، إن كان أفراد كتيبته جائعين.»

الأسماء غير مهمّة

«في الفترة الأخيرة صار الجوع موضوعاً حاسماً في حياتنا. كنت أضطرّ للنوم ساعات أطول لتسكين الإحساس بالجوع، خرجتُ بواسطة فريق الأمم المتّحدة، ولو خُيّرتُ اليوم بين خروجي في الدفعات الأولى أو أن أخرج مع آخر دفعة لاخترت أن أكون من آخر المغادرين لحمص القديمة، لكنّ الصبر هو هِبة من ربّ العالمين. طلعة الشباب من الحصار اليوم بتضلّ غير. بيبقوا كاسرين عين النظام وهنّي حاملين سلاحهم. كانت طلعتهم بترفع الراس.»

طلب منّي «الدكتور أبو علاء» ألّا أذكر إسمه الحقيقّي، وعندما سألته عن السبب، كان جوابه بالغ البساطة والعمق بل ويدفع للكثير من الأسئلة، قال لي: «يا أستاذ، في الثورة الأسماء غير مهمّة».

الفصل بين الطلاب و الطالبات عائق أمام النمو النفسي للأطفال

انتشر في مدارس المناطق الخاضعة لسيطرة الجيش الحرّ موضوع فصل الأطفال الذكور عن الإناث في أعمار مبكّرة جدّاً، في بداية الأمر انتشر بشكل محدود، ثمّ ما لبث أن انتشر على نطاق واسع جدّاً، حتّى ليكاد يكون الفصل بين الفتيات والصبيان في كلّ مدرسة من مدارس تلك المناطق.

بداية، لاقى هذا الأمر استهجان المدنيّين والعلمانيّين، ثم خفّ هذا الاستهجان وغدا كما لو أنّهم قد اعتادوا عليه. في واقع الأمر قد يكون هذا الاستهجان نابع عن الأفكار المدنيّة والعلمانيّة، أو عن استغراب الخطوة هذه واعتبارها رجعيّة تخالف التقدّم الحضاريّ، لكنّ الأمر لا يقتصر فقط على هذه النقطة، بل يتجاوزها إلى أمور أكثر حساسيّة وأهمّيّة.

يرتبط هذا الموضوع بالناحية النفسيّة التي قد يتركها هذا الفصل، والأمر ليس بالبسيط أو الممكن التغاضي عنه بشكل أو بآخر. فماذا يحدث عندما يتمّ فصل الفتيان عن الفتيات في أعمار صغيرة جدّاً تبدأ في عمر السادسة، ولا تنتهي إلّا في دخول الإنسان إلى المرحلة الجامعيّة؟؟ وهنا تقع المعضلة.

إنّ هذا الفصل سيكون عائقاً بشكل واضح وجليّ في وجه النموّ النفسيّ للإنسان. تخيّلوا أن يتمّ حرمان الإنسان لمدّة اثني عشر عاماً من الطعام إلّا القليل القليل منه، أو يتمّ حرمانه من الخروج إلى أيّ مكان بأن يظلّ حبيساً في غرفته لمدّة اثني عشر عاماً وخاصّة في مراحل حسّاسة من حياته والتي هي الطفولة المتأخّرة والمراهقة، ماذا تتخيّلون أن يحدث عندما تُفتح أمامه الأبواب ويقال له «اخرج الآن» ؟؟

سيكون في أشدّ حالاته جوعاً وحرماناً لما حُرم منه، وسيكون في أشدّ حالاته اندفاعاً تجاه ما حُرم منه، أو قد يكون الأمر معاكساً تماماً، أي قد يعود أدراجه نحو غرفته التي حُبس فيها سابقاً ويرفض الخروج منها أبداً. فالأمر قد يأخذ ردوداً مختلفة تجاه الحرمان الذي تعرّض له، ولكنّها في كلّ الأحوال ستكون ردوداً غير متوازنة وغير سويّة، لماذا؟؟ لأنّ هذا الحرمان غير طبيعيّ ولا يتماشى مع طبيعة الإنسان وسيترك آثاره النفسيّة السلبيّة عليه. الحال ذاته هنا تماماً، الفصل الذي يتمّ إجباريّاً بين الأطفال في سنين مبكّرة جدّاً هو فصل غير طبيعيّ ولا يتماشى مع طبيعة الإنسان، وماذا سيحدث حين تتاح الفرصة للإنسان أن يحتكّ مع الجنس الآخر سواء كان ذكر أو أنثى؟ سيسلك حتماً طُرقاً غير سويّة، فإمّا الاندفاع والتعدّدية أو الانعزال عنه والابتعاد والتقوقع حول ذاته رغم رغبته الكبيرة وحاجته لذلك.

ولا تتوقّف التداعيات حتماً عند هذا الحدّ، لكنّها ستتعدّى ذلك أو لنقل ستأخذ أبعاداً أخرى، لنتخيّل أنّنا منعنا طفلاً ما من شيء آخر لمدّة طويلة جدّا وهو أمام عينيه، كيف سيكون تأثير هذا المنع عليه؟؟ سيولّد حتماً تأثيراً سلبيّاً بشكل أو بآخر، أي قد يأخذ شكل التهويل والتضخيم من حجم هذا الشيء الذي مُنع منه، أو قد يأخذ شكل التبخيس والاحتقار فعلاً لذلك الشيء. أو قد يأخذ أشكالاً أخرى مختلفة، لكنّها في كلّ الأحوال لن تكون سويّة أو صحّيّة. ومتداولة جدّاً عندنا مقولة «كلّ ممنوع مرغوب» وهذا قد يترك لدينا تصوّراً واضحاً حول نتائج هذا الفصل، فبدلاً من أن ينظر كلّ جنس إلى الجنس الآخر نظرة طبيعيّة وواقعيّة وحقيقيّة دون تبخيس أو احتقار، دون تضخيم أو تهويل. تصبح نظرة كلّ منهما نحو الآخر نظرة مشوّهة وكأنّ كلّاً منهما من كوكب آخر غريب ومخيف!!

والآن، ما الفائدة التي يجنيها المسؤولون عن هذا الفصل؟؟ أليست مزيداً من الكبت والعُقد النفسيّة، مزيداً من التعقيد والمسافة بين الجنسين!! إنّ هذا الفصل الذي يصرّح القائمون به على أنّه تطبيق للشريعة الإسلاميّة ما هو إلّا افتراء على تلك الشريعة وزيادة في تحميل الإنسان لعقد نفسيّة واجتماعيّة كبيرة تضمن لهم إلتهاءه بها بعيداً عن سعيه لتحقيق ذاته أو أحلامه الشخصيّة والاجتماعيّة.

في واقع الأمر، إنّ مجتمعنا لا يحتاج على الإطلاق إلى عقد جديدة، نفسيّة أو اجتماعيّة، فما هو على كاهله يكفيه تماماً ويزيد، ويحتاج إلى الكثير من الوقت والمجهود والعمل لتجاوزه، فلسنا بحاجة أبداً إلى عُقد جديدة أشدّ كثافة وتعقيداً.

ريم الحاج

كلنا يرتبط هذا الموضوع بالناحية النفسيّة التي قد يتركها هذا الفصل، والأمر ليس بالبسيط أو الممكن التغاضي عنه بشكل أو بآخر.

في نقد النقد

كلنا النقدُ حقّ مشروع لكنّ ضمن معايير أخلاقيّة وضمن شروط موضوعيّة توجّهه نحو الطريق السليم لتقويم الاعوجاج وتصحيح الخلل

دائماً ما نتحدّث نحن كشباب حُرمنا مذ أبصرت عيوننا النور، التعبير عن آرائنا وأفكارنا الخاصّة بحرّيّة وبلا محاباة لأحد أو خوف منه، سواء أكان هذا الحرمان يبدأ من أصغر وحدات المجتمع-وهنا بالطبع أقصد العائلة- وصولاً إلى أعلى الهرم الاجتماعيّ ممثّلاً بالسلطة وأدواتها المختلفة، طبعاً من عاصر منّا في بداية عمره سلطة الأسد الأب لم يخطر بباله يوماً أن يجهر بما يدور في خلده وذهنه لعدّة اعتبارات أهمّها الاعتقال والخوف على العائلة وما إلى ذلك من أمور يعرفها السوريّون جيّداً وأعتقد بأنّها اليوم لا تخفى على العالم أجمع.

جاءت الثورة كفرصة لإخراج ما أخفاه الشباب السوريّ خاصّة من رغبة توّاقة للتعبير عن الذات وإسماع صوته بالفم الملآن لكلّ أشكال التجبّر بدءاً من مخالفة الأهل بنزولهم إلى المظاهرات وصولاً إلى نقد الحاكم المستبدّ نهاراً جهاراً وهو ما لم يحلم به أيّ سوري حتّى في» ليلة القدر»، بعد مضي ردح من الزمن على انطلاقة الثورة والتباينات المختلفة التي أفرزتها على الصعيد المجتمعيّ، تشكّلت طبقة جديدة كان جلُّ أعضائها من الشباب الذين واكبوا الثورة من بدايتها وقدّموا كلَّ ما استطاعوا إيماناً منهم بعدالة قضيتهم وأحقيّة أحلامهم بوطنٍ خالٍ من لوثات الديكتاتوريّة والظلم والفساد سُمّيت هذه الطبقة من الشباب فيما بعد بـ «الناشطين» على اختلاف دورهم الوظيفيّ وتعدّده إن كان على الصعيد الإعلاميّ أو الإغاثيّ أو الطبّيّ، وهلم جرّاً ...

ومع اختلاف الظروف وتعدّد المنظّمات التي تلقّفت هذه الطبقة المجتمعيّة الناشئة (الناشطين)، سواء أكان هذا الاحتضان تدريباً أو تمويلاً أو حتّى توظيفاً دائماً في مؤسّساتها التي تعمل غالباً خارج التراب السوريّ وأغلبها في المدن التركيّة الرئيسيّة التي تتجمّع فيها أنشطة المعارضة السوريّة المختلفة، وبالتالي أصبح الناشطون أنفسهم طبقات مختلفة متباينة سواء تعلّق الأمر بمكان الإقامة (داخل وخارج) أم بالمستوى المعيشي والماديّ الذي يتفاوت بشكل ملحوظ، هذا ما ولّد غيرةً وحسداً وتنافساً غير شريف بالمطلق، وصرت تسمع في أكثر من مكان إمّا بقصدك أو بغيره عن القصص التي تُروى وتحكى عن «س» من الناشطين أو «ع» من الناشطات عن فساد ماليّ وحتّى في بعض الأحيان تطعن في الشرف والأخلاق بلا دلائل حسّيّة ملموسة تثبت صدق الحديث من عدمه، وأصبح النقد الذي طالما تشدّقنا نحن معشر الشباب به وسيلة للتشهير والتجريح بمن لا نحبّ أو نهوى، وتحوّلت حرّيّة التعبير التي توفّرت للكثير منّا على صفحات هذا الأزرق الافتراضيّ المدعو «الفأس بوك» (والمصطلح للمفكّر التونسيّ المنصف المرزوقي) وبالاً ونقمةً بدلاً من أن تكون نعمة نستخدمها في الطريق القويم الصحيح، وبات شعار «النقد والنقد المضادّ» سلاحاً يستخدمه الشباب في حروبهم الافتراضيّة والواقعيّة ساهم بتشتيت جهودهم وفرّق جمعهم في الوقت الذي يحتاج البلد كلَّ الجهود للخلاص من الأخطار التي تتربّص به من كلّ حدب وصوب ممثّلة بنظام حرق البلد فداءً لرئيسه، وتطرّفاً أعمى جزَّ الرؤوس ودحرجها نصرة لدينه كما يزعم، وفرّق الشباب في منافي الأرض المختلفة بعيداً عن مدنهم وحواريهم التي تنسّموا عبق الحرّيّة فيها وغنّوا لها وسالت دماء شهدائهم على أرضها.

النقدُ حقّ مشروع لكنّ ضمن معايير أخلاقيّة وضمن شروط موضوعيّة توجّهه نحو الطريق السليم لتقويم الاعوجاج وتصحيح الخلل، لا أن يصبح أداةً لكيل التهم والتراشق بها، لذا نحتاج إلى نقد النقد ذاته كي يرجع لأصله وظيفة هامّة من وظائف تطهير المجتمع من آفاته وعلله المتراكمة.

مصطفى الجرادي

أطفال سوريا تائهون بين الحرب والحياة الطبيعيّة

كلنا بحسب اتفاقيّة «حقوق الطفل» وهي الميثاق الدوليّ الذي يحدّد حقوق الطفل فإنّ: «كلّ شخص لم يبلغ الثامنة عشرة من عمره يعتبر طفلاً».

في تقريرها السنويّ العام الماضي قالت «اليونيسيف»: إنّ آلاف الأطفال* قتلوا وتعرّضوا للتعذيب واستُعملوا دروعاً بشريّة من قبل الجيش السوريّ أو تمّ تجنيدهم في المعارضة». كما ورد في التقرير أيضاً: «إنّ أطفال الحرب هم قادة المستقبل».

فأي مستقبل تنتظره سوريا بعد كلّ هذا الدمار والتشوّه الذي طال كلّ شيء فيها حتّى الطفولة.

ومع أنّ أحاديث الأطفال عن موتهم، أضحت أمراً مألوفاً في سوريا، كما مشهد الموت اليوميّ الذي لم يعد يُخفى عليهم، فقد قالت زوجة أحد المقاتلين: «في البدء كنت أقول لأولادي إنّ أزيز الرصاص ووهج نيران القذائف في السماء ليسا إلّا ألعاباً نارية، لأنّهم كانوا يحبّونها، ولكن مع الوقت، لم يعد ينطلي عليهم الأمر. صاروا يعرفون الحقيقة وأخذوا يتعاملون مع الموت كما نتعامل معه نحن الكبار».

أمّا أبو قاسم (مقاتل من حيّ القابون) الدمشقيّ، فقد حمل السلاح العام الماضي وعمره لا يتجاوز السابعة عشرة يقول: إنّ استشهاد أخويه بسبب القصف على الحيّ دفعه للانضمام إلى إحدى الكتائب المقاتلة. ويضيف أنّ: وجود العديد من الفتيان في عمره شجّعه على القتال وأزال حاجز الخوف من الموت رغم اعترافه بأنّه يرغب بانتهاء الحرب بأسرع وقت ممكن والعودة إلى المدرسة التي تركها قبل أكثر من عام، ولكنّه يصرّ على القول: «دماء إخوتي وأصدقائي وكلّ من استشهد حتى الآن ليست أرخص من دمائي وأنا لا أمانع أن أموت دفاعاً عن أهلي الذين اشتقت لرؤيتهم....» تشوب صوته حشرجة وبحّة .....ثمّ يصمت.

قنص الأحلام

حوّلت الحرب التي يخوضها والدها، الطفلة «فرح» من حيّ سيف الدولة في حلب إلى جزءٍ منها، حين بدأت بمساعدته في نقل ما يحتاج إليه من مواد يستخدمها في صنع قنابله البسيطة في قبو أسفل البناية. عن تجربتها تتحدّث الطفلة بكلّ عفويّة وتقول: «لقد انفجرت العبوة الناسفة بيد الرجل الذي كان يساعد والدي على إعدادها. انفجرت وأدّت إلى قطع رأسه». وعند سؤالها إن كانت قد رأت تلك الحادثة تجيب: «نعم رأيت الجثّة دون رأس، لقد قُطع!». وتضيف «فرح» ذات السنوات الثماني أنّها تخاف من أحلامها التي ترى فيها دوماً قنّاصة يصوّبون رصاصهم إلى جسدها: «أخاف الأحلام لأنّني دائماً أجد نفسي فيها سائرة في شارع مقفر، سرعان ما يظهر أمامي قنّاص يصوّب بندقيّته ويطلق رصاصة تصيبني في بطني وأخرى في ظهري فأموت...!»

في محلّ لبيع الحلوى والمثلّجات في حيّ الدويلعة، وقف «ياسر» حاملاً بندقيّته التي تبدو بوضوح شديد كبيرة على سنّه وقد ارتدى لباساً مموّهاً ما يوحي بأنّه عسكريّ ولكنّه صغير جداً، انتظر مثل بقية الأطفال وعندما حان دوره طلب مثلّجات بالفريز وكان يقول لرفيقه الذي يحمل بندقيّة أيضاً أنّه يحبّ هذا النوع من المثلّجات منذ صغره، لم أستطع منع نفسي من سؤاله بتودّد كما نسأل الأطفال عادة: «كم عمرك يا بنيّ؟» أجابني على الفور وبدون تردّد: «٢٥ عاماً» ما جعل رفيقه يصرخ: «ما بك لقد جعلت نفسك أكبر منّي وأنا لم أتجاوز التاسعة عشرة» طبعاً هذان الصغيران يبدو عمرهما واضح جدّاً فكلاهما لم يتجاوزا السادسة عشرة. وعند السؤال عن أسرتيهما أجاب كلاهما بأنّ الوالد قد توفّي في الحرب وأنّهما حملا السلاح وتطوّعا في اللجان الشعبيّة للدفاع عن الوطن أوّلاً ومن ثمّ لإعالة أسرتيهما. في الحقيقة شعرت حينها أنّ الطفولة قد اغتيلت في سوريا بعد أكثر من ثلاث سنوات من الحرب التي لوّثت الجميع وشوّهتهم.

الضائعون

لقد تحوّل لعب الأطفال إلى معارك بين المسلّحين والقوّات الحكوميّة، ينقسم الأطفال إلى فريقين هنا في الأحياء الموالية وغالباً ما تبدأ اللعبة بمشاحنات حول تشكيل كلّ فريق إذ يرفض غالبيّتهم الانضمام لفريق الإرهابيّين ويفضّلون البقاء في فريق النظام لأنّ آباءهم أو إخوتهم يقاتلون الإرهاب ويدافعون عن الوطن. ومن الضروريّ جدّاً أن تنتهي اللعبة بانتصار فريق النظام أيضاً وإلّا فإنّها قد تؤدّي إلى مشاحنات جديدة. وعند الاقتراب من ألعابهم أكثر تلفتك خبرتهم العسكريّة، فهم يميّزون أصوات القذائف واتجاهاتها وأنواع الأسلحة المستخدمة وطرق تضليل القنّاصة وصناعة القنابل وألاعيب السياسة. ثمّ يلفتك أيضاً أنّ اللعبة المفضّلة لديهم من بين جميع الألعاب العسكريّة هي لعبة القنّاص، حيث يتمرّن الجميع على اجتياز المناطق المقنوصة بدافع الخوف من الموت. فيقوم أحد الأطفال باعتلاء أحد الأسطح ويتظاهر بأنّه قنّاص فيتصايح الأطفال وينبّهون بعضهم لوجوده ومن ثم يقومون بالعبور الحذر للمنطقة المحدّدة والفائز هو الذي يمكنه العبور, أمّا الخاسر فهو من مات. لقد شوّهت الحرب الأهليّة دواخلهم وأفقدتهم براءة طفولتهم لدرجة قد يصحّ توصيف جيل كامل منهم... بالضائع.

غروب العقاد

قراءة في كتاب

العقد الأخير في تاريخ سوريا
جدليّة الجمود والإصلاح

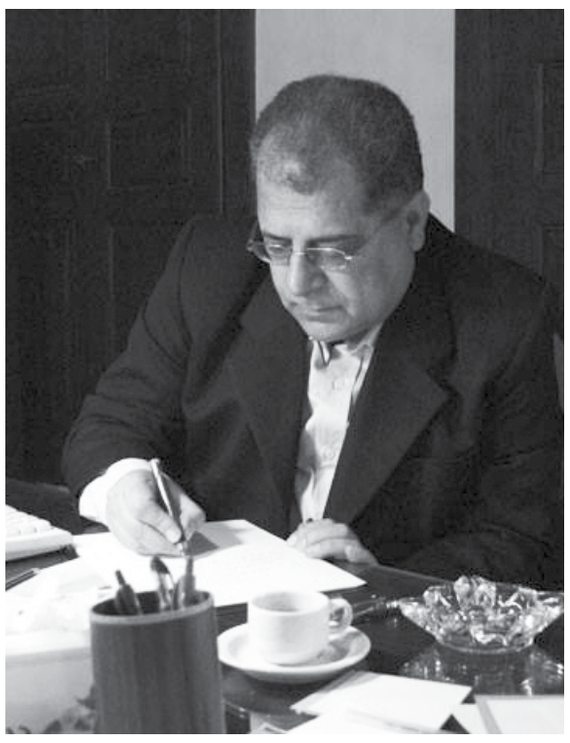

يستطيع القارئ السوريّ لكتاب «العقد الأخير» إلّا أن يبتهج ويتحفّز حين يتعامل مع الخيط السرّيّ في الكتاب الذي هو ترجمة لمعايشة وإرادة المؤلّف لمواقع نافذة تبيح له الاطلاع على ما يكون عادة غارقاً في العتمة، مثل المشروع الذي أداره: «مشروع سورية ٢٠٢٥»، والذي أنشأ أغلب تقاريره، ثمّ إحالته في أحيان كثيرة إلى أشخاص نافذين لا يمكنه الكشف عن أسمائهم. إنّها إعادة بناء الذي أُقصي وأُبعد ودُمّر كي يُظهر الذي انتصر وساد، وهو في كتابته التي تريد بناء تاريخ سوريا في عقدها الأخير الذي كان صراعاً بين قوى وخيارات، يتبنّى: «منهجيّة تاريخيّة، اقتصاديّة، اجتماعيّة، سكانيّة، سياسيّة، مؤسّسيّة مركّبة وعابرة للاختصاصات، تتعامل مع العلوم الاجتماعيّة والسياسيّة كوحدة مترابطة في التوصيف والتحليل...»، هذه الوحدة المترابطة التي تنحلّ في متن الكتاب وتُختزل إلى علاقة الاقتصاديّ بالسياسيّ، والذي من علاقتهما يشتقّ المؤلّف مفهومه المركزي: «النظام التسلّطي المتلبرل اقتصادياً» الذي هو برأي الكاتب: «مفهوماً مفتاحيّاً في فهم عمليّة التغيّر الاجتماعيّ الكبرى» الجارية في بعض أقطار العرب، والكامنة والممكنة في الدول العربية جميعها، لأنّها تتشابه في نمط التنمية التسلطيّ تحت نفوذ وإشراف سلطات بوليسيّة، أو نصف بوليسيّة، ولمصلحتها، الحال الذي يؤدّي إلى تساقط ثمار النموّ في أحضان «رأسماليّة الحبايب والقرايب»، وتحويل التحرير الاقتصاديّ إلى احتكار القلّة، واصطناع المنافسة الاحتكاريّة بدلاً من التنافس الحقيقيّ في سوق حقيقيّة، والذي بدلاً من سيادة القانون سادت العلاقات التسلطيّة الأمنية بين الدولة والمجتمع، ممّا يدفع بتطوّرات المنطقة إلى أن تجري: «بأسلوب المفاجآت والقفزات والزلازل السياسيّة». وسوريا تندرج في هذا مع تسلطيّة أعلى وأكثر كثافة، وهي التي تشكّلت فيها «طبقة بيروقراطيّة مرسملة» من شرائح البيروقراطيّة الحكوميّة والسياسيّة والعسكريّة والأمنيّة العليا، والتي كانت قد انحدرت من فئات وسطى وفقيرة، والتي كوّنت رساميلها من خلال سيطرتها وتحكّمها بأجهزة الدولة، فنهبت المال العامّ، وشاركت رجال الأعمال الذين يشتغلون في المقاولات على هامش القطاع العامّ، ووسطاء الشركات الأجنبيّة التي تدفع عمولات عالية، وسيطرت على أراضي الدولة إمّا بوضع اليد أو بالاستئجار الشكليّ، وتحويل قسم من المعونات الدوليّة إلى الحسابات الخاصّة، والتحكّم بعمليّات التهريب.

ولقد وظّفت هذا الرأسمال المنهوب في مشاريع الرفاه والأبّهة وشراء الأراضي والعقارات والمزارع والمضاربة بها، ولم تنخرط هذه الريوع الرأسماليّة في السوق السياحيّة والخدميّة إلّا في تسعينيّات القرن الماضي من خلال الأبناء والأصهار والأقرباء. هذا غير الأموال التي هُرّبت إلى الخارج في سبعينيّات القرن الماضي، والتي تحتلّ سوريا المرتّبة الأولى بين الدول العربية بعد أن وصل حجم الأموال المهرّبة إلى /١٣٥/ مليار دولار.

هذه الطبقة التي نمت في الصراع بين جناحيها: التحريريّ والتصحيحيّ، والتي دفعت الاقتصاد السوريّ، مع بداية الألفيّة الثالثة وبعدها، إلى جمود وركود تمثّل في العجز عن تأمين فرص عمل للأجيال الشابّة المنخرطة في سوق العمل، وارتفاع معدّلات البطالة، وتدهور الأجور، ونموّ القطاع غير المنظّم.

ولقد انتصر، من بين الحلول المطروحة للخروج من هذا الجمود، خيار رجال الأعمال الجدد، أو المائة الكبار، الذين دفعوا من أجل تكييف السياسة الاقتصاديّة الاجتماعيّة مع مصالحهم الخاصّة، فأفلست مئات المصانع الصغيرة بفعل تحرير التجارة الخارجيّة، وتزايدت تشوّهات توزيع الدخل، وتزايد حجم الفقراء، وتركّز رأس المال السوريّ في أيدي هؤلاء المائة الكبار من مؤسّسي الشركات القابضة الكبرى. فاندلعت حركات الاحتجاج الحادّة في المدن السوريّة الصغيرة والمتوسّطة والكبيرة، والتي وقعت أكثفها في المدن الصغيرة والمتوسّطة الطرفيّة والمهمّشة، التي عانت من تهميش متعدّد الأبعاد، والتي عانت من تعسّف السلطات المحلّيّة الاعتباطيّة، ومن تدنّي مؤشّرات تنميتها الإنسانيّة، ومن ارتفاع أعباء الإعالة العمريّة والاقتصاديّة فيها، والتي فيها حدثت الاحتجاجات الأعنف، مثل: درعا ودوما، درعا التي تشبه في مؤشّرات التنمية الإنسانيّة المتدنيّة والمقلقة، ريف حلب الشرقيّ، والمحافظات الشرقيّة: الرقّة ودير الزور والحسكة.

كلنا
- المؤلّف: محمّد جمال باروت
- الطبعة الأولى: آذار ٢٠١٢
- ٤٦٢ صفحة من القطع الكبير.
- منشورات المركز العربيّ للأبحاث ودراسة السياسات

إنّ سيرورة التغيّر الاجتماعيّ–السياسيّ الجارية، بالنظر إلى أنّ الثورة السوريّة، ثورة المجتمعات المحلّيّة، أي ثورة المدن المتوسّطة والصغيرة، والأحياء الشعبيّة والعشوائيّة في المدن، والبلدات المهمّشة والمفقّرة والمذلّة والمهانة، مع أنّ قابليّة الثورة قائمة في المدن السوريّة كافّة، لكن من دون تدخّل عامل: «المفاجئ والمثير، أو العشوائيّ» لا تتحوّل هذه القابليّة إلى حركة، هذه الحركة التي تعدّدت أشكالها بتعدّد عواملها في المدن والبلدات المنتفضة، والتي تمثّلت بعلاقة ديناميكيّة بين المراكز والأطراف، والتي جرى فيها الاستقطاب في بضعة أشكال: شكل الزحف المدنيّ السلميّ للأطراف نحو المركز، مثل: زحف محور دوما–سقبا إلى ساحة العبّاسيّين في دمشق، والزحف شبه الفلاحيّ المسلّح على المراكز، مثل: غزو جبل الزاوية على أريحا وجسرالشغور ومعرّةالنعمان ثمّ شكّل التظاهرات الجوالة في أطراف المدن المليونيّة الخاملة.

يبحث الكاتب ويعرض الفاعلين الاجتماعيّين والسياسيّين، ويرصد تغيّر وظائفهم وأدوارهم، ويقارن بين المجتمعات التونسيّة والمصريّة والسوريّة في الذي يجمعها والذي يميّزها، ويرى أنّ الطبيعة المركّبة للهويّة في المجتمع السوريّ الذي يفضي فيها انهيار النظام إلى انهيار الهيئة الاجتماعيّة برمّتها، وعلى هذا فهو يؤكّد أنّ «التسوية التاريخيّة» ممرّ إجباريّ لعمليّة التغيّير الاجتماعيّ السياسّي للحؤول دون وقوع اضطرابات أهليّة وطائفيّة قد تأخذ في بعض الأماكن صفة حرب أهليّة، وعلى هذا فإنّ التسوية التاريخيّة في شروط المجتمع السوريّ، هي تسوية ثوريّة.

فاضل الفاضل

بين حلب هنا وحلب هناك

كلنا جنباً إلى جنب مع نقص أساسيّات الحياة، يطلّ القصف برأسه غير خجول، فيوميّاً تساقط للهاون وجرار الغاز مسفرة عن قتلى، وعن جرحى

هنا، فيما يسمّى حلب المحتلّة أو الغربيّة، تجري خارجها أحاديث عن «حياة طبيعيّة» في هذا الجزء من المدينة، بحجّة أنّ قاطني هذا الجزء هم من الأغنياء، متناسين أنّ أغنياء حلب غادروها، ولم يعدْ هنا سوى النازحين من المناطق الخاضعة للمعارضة المسلّحة والفصائل الإسلاميّة، إضافة لذوي الدخل المحدود من موظفي الدوائر الحكوميّة الذين لا يمتلكون مصدراً للعيش سواها، إنْ صحّ القول بأنّ رواتبهم تكفيهم في وسط الغلاء الفاحش نتيجة انهيار الليرة السوريّة والأزمات المتلاحقة، فبين انقطاع المياه والكهرباء والمحروقات من بنزين ومازوت وغاز على السواء بات الوضع مرهقاً لأكثرهم ترفاً سابقاً.

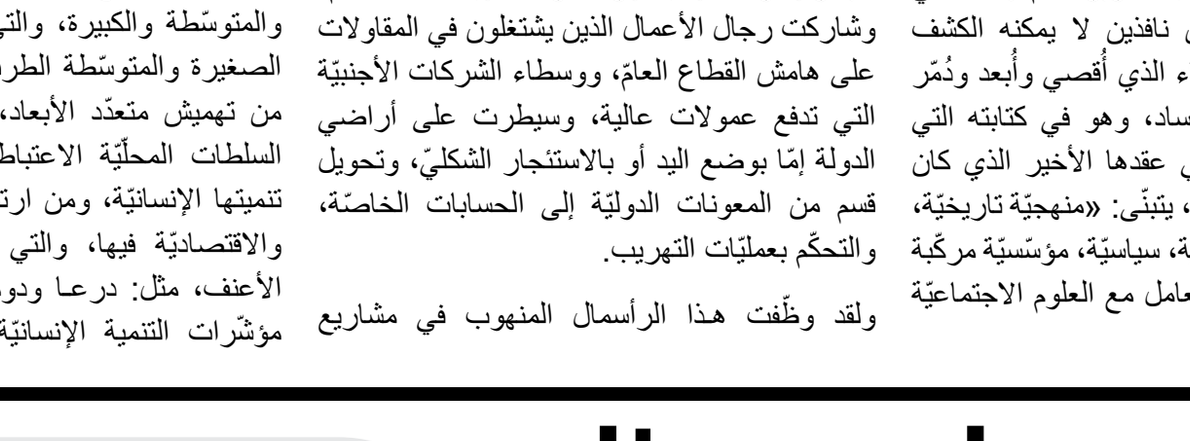

ترى «الحياة الطبيعيّة» في كلّ مكان تجول فيه، في الأسواق المتناثرة على الأرصفة، ضمن الأحاديث في المقاهي، التي يرتادها الجميع لعمليّة «الشحن» نتيجة انقطاع الكهرباء المديد، فبالإضافة للأحاديث الإعتياديّة عن الأماني وأخبار الكهرباء والمياه والبنزين والغاز والإشتباكات وقذائف الهاون، يتصدّر حدث ما حديث الشارع، بين جنيف٢ إلى الانتخابات والمرشّحين، فالحياة طبيعيّة يُمارس فيها «المواطنون» حقّهم الطبيعيّ في الانتخاب والتعدّدية، الأمل الكاذب الذي يحاول الجميع التعلّق به رغم يقينهم بعدم جدواها كقنبلة صوتيّة.

كلّ انقطاع يولّد مصروفاً جديد، المولّدات أو الأمبيرات التي باتت تنتشر بشكل كبير أسوةً بالقسم الآخر «المحرّر» من المدينة، شراء المياه التي لايمكن لأحد الاستغناء عنها، مع استغلال التجّار للأوضاع وزيادة الأسعار مع كلّ انقطاع، الأمر الذي لايتناسب مع انعدام مصادر أخرى للدخل، وانعدامه عند الكثير من العائلات، بشكل خاصّ العاملين بشكل حرّ أو ضمن القطاع الخاصّ الذي صرف عن الخدمة العديد من موظّفيه منذ بداية دخول الجيش الحرّ إلى حلب في آب ٢٠١٢ وما يزال الفصل مستمرّاً إلى اليوم، دون إعطاء تعويضات ماليّة في غالب الأحيان، لتدخل المدينة في دائرة البطالة والغلاء وانعدام فرص مغادرة البلاد بطرق شرعيّة.

الجوع والأمراض والأوبئة لم ترحم من بقي «مجبراً لا بطلاً»، التهابات الكبد والليشمانيا (حبّة حلب) بشكل خاصّ، إضافة للنقص الحادّ في أدوية الأمراض المزمنة، السكّريّ، القلب، الضغط، إلخ.. نتيجة إغلاق أغلبيّة المعامل الدوائيّة في سوريا، وفي حلب بشكل خاصّ.

والجدير بالذكر التواجد الكثيف للحشرات مع قدوم الصيف، بعضها من نوع جديد وبأحجام مختلفة، مع قيام الحكومة السوريّة برشّ المبيدات الحشريّة، ممّا يعرض المدينة لاكتساح جديد من الأمراض والأوبئة التي تنقلها الحشرات.

جنباً إلى جنب مع نقص أساسيّات الحياة، يطلّ القصف برأسه غير خجول، فيوميّاً تساقط للهاون وجرار الغاز مسفرة عن قتلى، وعن جرحى لا يدخلون في نطاق «العدّاد»، فقد بات اليوم من مظاهر «الحياة الطبيعيّة» مصادفة شبّان وأطفال وكبار بأعضاء مبتورة في أيّ حيّ أو مكان تذهب إليه، كخلفيّة لمشهد الحياة «الآمنة» هنا، هذه الفئة التي لا يحسبها أحد، فليسوا بأموات، وحدهم الموتى يدخلون في الحسابات.

لا يختلف المشهد بين «الحلبيَن» إلّا بالتفاصيل، فالمشهد العامّ ذاته، الجوع والموت والذّلّ هم السادة، رغم وحدة الحال فلا شيء ينمو بينهما سوى الحقد، فقاطنو الجزء «المحرّر» ينظرون للآخر على أنّه أفضل حالاً وأهدأ بالاً، ومتكاسلون عن «فزعتهم»، والجزء «المحتلّ» ينظر للآخر بخوف وعجز، يعتقد كثيرون أنّ القسم «المحتلّ» لايهتمّ لما يحصل في الضفة الأخرى وقد يغالي بعضهم أكثر من ذلك ليذهب اعتقاده بأنّهم شامتون، ف»المحتلّ» جميعهم شبّيحة ومؤيّدون للنظام! وينبغي تصفية كلّ العاملين في الدوائر الحكوميّة، فهي دوائر «أسديّة»، بالطبع لايخلو الأمر من وجود هذه الفئة، لكنّ التعميم هو مايزيد الوضع سوءاً على الضفّتين، ففي «المحتلّ» هناك من ينظر إلى القسم «المحرّر» على أنّهم حاضنة «للإرهاب» و «الفصائل الإسلاميّة»وهكذا يبدأ كلّ قسم بتعرية الآخر من إنسانيّته ويُتوّجه عدواً يجب أن يُقتل، مع عدم تجاهل النظرة والحقد الطبقيّ القابع في النفوس منذ زمن بعيد، ابن الريف- ابن المدينة، ابن الشعّار (على سبيل المثال)- ابن الموكامبو (على سبيل المثال)، والذي وجد بيئة خصبة لتقويتها وترسيخها، ومخرجاً لها، لندخل بخطا ثابتة نحو حرب أهليّة طويلة، إن لم نكن في خضمّها الآن.

لينا الحكيم

حلب.. ذاكرةٌ عتيقة

طلقةٌ في المسار الخاطئ وينفضُّ المشهدُ.. حُلمٌ يعانقُ ظلَّ التراب، يُشرَبُ في الهدوءِ كأنَّ ليلَ حلبَ يُعيدُ الجسدَ إليها.

طلقةٌ.. ويموتُ عابرٌ، ليعودَ في فن الكهنوت إلى ما كان، ليصعد على سُلَّمِ البنفسجِ نحو غيمٍ أزلي.

هكذا.. لم نعتدْ حلبَ.. لم نجرؤ على الحُلُمِ يوماً بأن لا نرى ما كُنّا نحيا من أجلهِ:

«ساحاتٌ للمُتسكّعين\ معابدٌ من رُخامٍ وحجرٍ عتيق للقانعينَ بملكوت السماء\ حاناتٌ للمُنكسرينَ في ظلِّ الصنوبرِ\ مراكزُ بيع موسيقى للحالمين\ مكتباتٌ لعُشّاق اللغة\ أطفالٌ يتشاجرونَ مع ظلالهم\ جاراتٌ يُصبّحنَ على جاراتهُنَّ من خلف الأبواب\ أفواهٌ لتدفئةِ اليدين في الشتاء\ ماءٌ على الأرصفةِ لمنع الغبارِ من الطيران\ باعةٌ متجولون لكسب المال\ قلعةٌ رصَّت تاريخها وأغلقت أبوابها لتحفظَ سرَّ الجمال\ مطاعمُ شعبيةٌ للفقراء\ واجهاتٌ زجاجيةٌ كالأنجم لبيع الأحذية\ دكاكينُ للتبغ من أجل انتحارٍ لذيذٍ في الرئةِ\ محالُّ للخمورِ من أجل الشعبِ\ نساءٌ أنيقاتٌ للحُبِّ\ ذكورٌ يُصابونَ بالوسامةِ بعد الغروبِ\ وقتٌ معطوبٌ على قارعةِ الطريقِ\ مقاهٍ صباحيةٍ للعاطلين عن العملِ\ معاملُ آليةٌ للمستمتعين بتعبهم\ كُتّابٌ ناشئونَ لتدوين الأشعار والمراثي\ رسامونَ يناقشون اللون\ موسيقيون هستيريون\ مسرحيون يحلمون برائحةِ الخشبِ\ مسافرون في قطارٍ مُهترءٍ\ ناسكون يصافحون الندى\ ملحدون يستحمون بعطر الفجرِ\ شرفاتٌ لزراعةِ الوردِ\ أمٌ تعجنُ قلبها مع الخبزِ».

هكذا كُنّا نحيا حلبَ.. الخيالُ قاصرٌ على حلبَ\ الحنينُ صادقٌ في حلبَ. طلقةٌ في المسار الخاطئ وينفضُّ المشهدُ.

حلب.. ذاكرةٌ أزليةٌ رغم الدمار، جنون حلبَ في فن الخراب..

تصيحُ المدينةُ.. (مزّق.. مزّق.. فالذكرياتُ تعصى على الزوال)

حلب.. حواراتُ الأبد العشوائية، طرقاتٌ لا تُنسى، أرصفةٌ وطأتها الأقدام المقدّسة. حلب المكان\ الزمان.. حلب.. ذاكرةٌ عتيقةٌ وبلاغةُ مشهد.

علي الأعرج

هل صمتَ المغنّي؟؟

الثورة أغنية التاريخ كتبَ كلماتها ولحّنها وغنّاها شعبٌ مغتصَبٌ ومفقّر ضدّ طاغيةٍ لوّثهُ الطغيان بداء العظمة، تقولُ كلماتُها (الله.. سوريّا.. حرّيّة.. وبس) ملحّنها هتّافٌ بسيطٌ ما درسَ الموسيقا في مدرسةٍ أو جامعةٍ، لكّنهُ أحسّ وبعمقٍ موسيقا قهره في انسانيّته ولقمة عيشه.. جوقته يتساوون معه في العسف، ينقصون قليلاً أو يزيدون، كلّما كان صوتُهُ أنيقاً وشجيّاً وتوقيعهُ منضبطاً ازدادَ حماسُ جوقتهِ وتفاعلهم معهُ وردّدوا بقوةٍ ما كان يقولُ، كلماتُهُ مرتجلة، وأحياناً يكون هو مَن كتبها أو أحدُ أفرادِ جوقتهِ، أهزوجته بدأتْ بسيطةً، ثمّ طوّرها إلى أغنيةٍ شعبيّةٍ تناسبُ الحدثَ، سهلةُ الكلماتُ واللّحن وقد يخلعُ أحياناً على الكلمات لحناً شعبيّاً محبّباً ومألوفاً، ليس المهمّ أن يكون الهتّافُ (والذي هو مايسترو المظاهرات) كبيراً أو صغيراً أو طفلاً، المهمّ الكفاءةُ وقوةُ الشّكيمةِ، ليس عليه أن يكتبَ بالفصحى فلهجته المحليّة أضحتْ معروفةً ومفهومةً، إن كانتْ في درعا التي طلبتْ الفزعة أو على ضفتي الفرات التي لبّتِ الفزعة، أو في حماةَ التي أبدعَ قاشوشها بأهزوجتهِ وأضحتْ أهزوجة وطنيّةً لكلّ السوريّين ردّدتها جالياتهم في بلادٍ أخرى ومن بعدها تحوّلَ القاشوش إلى رمزٍ، فصارَ لكلّ بلدةٍ قاشوشها، أمّا جارتها حمص التي تناكفها دوماً بظرافةٍ فقد أبتْ إلّا أن يكونَ لها ساروتها الأسطورة الذي ظلّ يغنّي لسوريةَ الوطن ويرى فيها الجنّة رغمَ هولِ مصابهِ، حمصيّ جميل آخرَ يقيمُ في الولايات المتّحدة (مالك الجندليّ) غازل جاره الحمويّ أكثر (وحوّل أهزوجة قاشوشهم) ليبني على جملتها الموسيقيّةِ مُؤلّفَهُ الأوركستراليّ في صيغة سمفونيّة، لتكون أوّل عملٍ من هذا القبيل لثورةٍ من ثوراتِ الربيع العربيّ.

من بين حجارةِ البازلت البركانيّةِ السوداء (تحيّفَ سميح) الصوتُ المشبعُ بعصير العنبِ على من يطخّ رصاصاً على أناسٍ عزّل ويعتقلُ أطفالاً بعمرِ الورد ويهجمُ بسيفه على شعبه تاركاً ظهرهُ مكشوفاً لمن كان يوهمنا بأنّه عدوّهُ. ومن عراقةِ زيتون إدلب غنّى رائد الجرجنازيّ طالباً من ملالي إيران أن تودّعَ كلبها الذي سقطَ شرعاً. دخلتْ عَراضةُ أرياف دمشقَ والقدودُ الحلبيّة حاملةً معها عبقَ تاريخٍ طويلٍ ووزّعتها على الثورة.

كلنا: مع نشوةِ الانتصارات بلغتْ أغاني الثورة ذروتها، فشحذتْ همَمَ الثوّار وزفّت الشهداء مع الزغاريد

ومع نشوةِ الانتصارات بلغتْ أغاني الثورة ذروتها، فشحذتْ همَمَ الثوّار وزفّت الشهداء مع الزغاريد إلى مثواهم الأخير ومجّدتْ بطولاتِ أفرادٍ وجماعاتٍ بسطاء لَم يغنِّ لهم أحد في زمن النعيق للأب الجاحد ووريثه الناكر، ولكنّها صُعقتْ بأغنيةٍ مشبعةٍ بقذارة الطائفيّة (احسم نصرك في يبرود) طعنتها من الخلف بعد أن كانتْ قد أكرمتها في زمن محنتها، وحين انبرت وردّتْ عليها بأغنية أخرى (احفر قبرك في يبرود) طالبةً منها ردّ الجميلِ كما عادات البشر، اغتالتها الأيدي القذرة التي تتاجرُ بالإسلام أثناء خروجهِ من صلاة الفجر... وصَمتَ المغنّي، حسمتِ الأيادي القذرة نصرها ولو إلى حين في يبرود وقبلها في القصير. ازدادتْ براميلُ الحقدِ تساقطاً على المدن السوريّة فقتلت شيوخها وأطفالها ونساءها وهجّرتِ الأحياء من سكّانها، توقّفَ المغنّي عن الغناء بالانتصارات ونشوتها وصَمتَ المغنّي ولو إلى حين، لكن أبى أن يحوّل غناءه نَدْباً على هزائم صغيرة انطلاقاً من قناعته ـ رغم بساطتها ـ أنّ غناءَ الهزائم الصغيرة يحوّلها إلى فاجعة كبيرة، وغناءُ الفواجع عادةً ما يرافقها في ذهابها إلى لحدها، وهذا ما يأباه المغنّي لذلك بقي فمه مفتوحاً ويده على أذنه متهيّئاً لغناءٍ قد يكون أجمل وأنضج لغة ولحناً وإنسانيّة.

أسعد شلاش

من ذاكرة الصحافة

بعد أن تبرّع أحد المغتربين من الجالية الحمصيّة في البرازيل وهو «بشارة المحرداوي» بثمن مطبعة لتكون أوّل مطبعة في حمص، ظهرت «جريدة حمص» كـأوّل صحيفة في المدينة عام /١٩٠٩/ ، وكانت ناطقة باسم طائفة «الروم الأرثوذكس» وكان صاحب امتيازها المطران «عطا الله»، لكنّ الجريدة وبعد طباعة بضعة أعداد منها توقّفت حتّى عام/١٩١١/ حيث عادت ولم تحتجب بعدها أبداً.

تميّزت هذه الصحيفة أنّها كانت الحاضن الأهمّ للثقافة والمثقّفين في حمص، فإضافة لأخبار الطائفة ونشاطاتها كانت تنشر لمعظم الكتّاب من حمص ومن خارجها، على اختلاف مذاهبهم وشرائحهم الاجتماعيّة، كما امتازت بوجود رؤساء تحرير معنيّين بشكل مباشر بالأدب والفكر أشهرهم المرحوم «أديب ملحم البستانيّ».

ثم بدأ عدد من الصحف السياسيّة بالظهور، ومنها «الضحى» و«القافلة» و«الميزان» و«المعركة» و«فتى الشرق». وكانت معظم الصحف تطبع مساء لأسباب مختلفة، منها أنّ معظم المقاهي كانت تمتلئ بالقرّاء في المساء، بالإضافة إلى أنّ المحرّرين ينتظرون نشرة الثانية والربع في الإذاعة لينقلوا الأخبار السياسيّة، وكذلك كانوا يمرّون على رؤساء

الدوائر والمحافظ لمعرفة ما لديهم من أخبار.

ومن أهمّ الصحف التي لها بصمة في تاريخ الصحافة الحمصيّة صحيفة «السوريّ الجديد» التي أصبحت فيما بعد «العروبة» وكانت ناطقة باسم حزب «الشعب، والتي استمرّت حتى أيامنا هذه ، فقد صدر عددها الأوّل في تشرين الثاني /١٩٥٥/ بشكل أسبوعي و من ثمّ تحوّلت ليوميّة في الثاني من أيلول /١٩٥٦/ و استمرّت في الصدور حتى عام /١٩٥٨/، ثم أعيد امتيازها باسم «عبد الباسط الجندلي» عام /١٩٦٢/ فصدر عدد واحد ومن ثم عُطّلت، إلى أن عاود «محمّد الأزهري» إصدارها عام/١٩٦١/، ومن ثمّ استولت مؤسّسة «الوحدة» للطباعة والنشر على مكاتبها.

من أشهر الصحفيّين الذي مرّوا على حمص نذكر «أحمد نورس السوّاح» و«محمّد الأزهري» و«محمد شاهين» و«محجوب شاهين» و«محي الدين درويش» و«محمّد روحي الفيصل».

بالإضافة للصحف السياسيّة صدرت العديد من الصحف الأدبيّة والعلميّة والفنيّة نذكر منها «المدرسة» والتي جاء في مقدّمتها (جريدة علميّة أدبيّة أخلاقيّة فنيّة اجتماعية)، كانت صحيفة نصف شهريّة تصدر باللغتين العربيّة والتركيّة. كما صدرت جريدة «النداء» و هي جريدة أدبيّة، فنيّة، انتقاديّة، صدر عددها الأوّل في شباط /١٩٥٦/ وتحوّلت لاسم «نداء حمص» كمجلّة أدبيّة رياضيّة لصاحبها «عبد الرؤوف سلطان».

لم تكن الصحف الساخرة غائبة عن حمص ومنها «ضاعت الطاسة» التي ضمّت زاويا ساخرة ونشر معظم كتّابها مقالاتهم الساخرة بأسماء مستعارة مثل «أبو الشمقمق» و«أبو الطمقمق» و«الحمار الفصيح» وكانت تعالج قضايا اجتماعيّة وسياسيّة.

ويحكى عن رجل حمصيّ يدعى «الزلق» وهو بائع صحف نشيط جداً في منتصف القرن العشرين، كان يعرف كلّ شخص وما يحبّ أن يقرأ، فيمرّ على جميع المقاهي، ويوزّع على كلّ صحيفته المفضّلة ثمّ يعود ليقبض ثمن صحفه.

كلنا سوريون

حسناً.. اليوم حمص وغداً مكّة!!

قدسيّة حمص «الوطنيّة» لا تقلّ عن قدسيّة مكّة «الدينيّة» فكلتاهما عاصمة للثورة على القهر والظلم والاستبداد.

مكّة قبلاً كانت مهداً لثورة قلبت مفاهيم وأسس حياة ظلّت طويلاً ترسّخ الاستبداد والظلم، وحرّرت الإنسان من قهر الإنسان، وأطلقت فيه طاقات صناعة الحياة وصياغتها وفق مفاهيم مغايرة تقوم على العدل والمساواة والمواطنة.

حمص أيضاً، نهضت من كبوة الذلّ والقهر وأبت إلّا أن تكون نصيراً لأصداء صرخة الحرّيّة الآتية من أقصى جنوب حوران، لتعلن انتهاء زمن العبوديّة والهوان، وعَلَتْ في ساحتها صرخات النصر على الخوف وهتافات نصرة الإنسان فحازت بجدارة لقب عاصمة ثورة الحرّيّة والكرامة.

ليست حمص كالمدن الأخرى... كان لثورتها شيء ما يميّزها، ربّما كان لطيب أهلها ووداعتهم بصمة حتّى على أسلوب ثورتهم..

من ينسى تلك «السكتشات» الرائعة التي تنضح بالسخرية ممّا تسوقه قنوات التضليل والعهر الفاضح حول رواية العصابات المسلّحة؟ فقد كان هناك من تزنّر بأحزمة الباميا ومن أطلق قذائف الباذنجان على جيش (الوطن) الذي استباح كلّ حرمة وهتك كلّ الأستار .

حمص التي تجنّبها جيش المغول، حاصرها جيش العصابة، وأسقطها الخذلان!!! .

بعد سنتين من الحصار والتجويع ركع مقاتلوها أخيراً!! لكنّهم ما ركعوا إلّا ليقبّلوا ترابها المخضّب بدم شهداء عزّتنا وكرامتنا.. ركعوا ليودّعوها إلى حين... علّ أولئك المعارِضين المتعارِضين يدركون خلاله أنّهم خذلوا حمص التي ما تجرّأ بطل على ركل صورة الطاغية الأب وتمزيقها في كلّ سورية قبل حمص.

ليدرك خلاله أولئك الأعراب المتقاعسون أنّ الخناق يضيق على المشرق كلّه فبالأمس كانت بغداد واليوم حمص وغداً ربّما تكون... مكّـــة.

غزوان قرنفل

شاعرة ترثي «حمّوصتها» من داخل باص المحاصرين الأخضر

بخاطرك يا حمص.. يا إم المخذولين..

لا تسامحينا.. لا تسامحينا كلّنا..

خليناك تصيري نظرة مسروقة من تحت شبابيك باص صار تابوتنا الأخير ليرمونا بوجه الطريق البعيد..

هو أوّل نصّ تكتبه الشاعرة الحمصيّة الكرديّة وئام بدرخان بعد خروجها من حمص المحاصرة مع من بقي هناك، نقلت الألم والحرقة بالصورة والكلمة، ووقّعت كلّ كتاباتها، أو أغلبها بـ «من حمص المحاصرة بخذلان العالم».

ترثي وئام، الشاعرة الثائرة وداعها الإجباريّ لمدينتها، ترقص كغجريّة قتلوا حبيبها الليلة بين الركام، تنتقل بين الأحياء القديمة تشبع أعينها من لون الحصار على أشباح المكان لتنقل لمن لم يعلم كيف انتصر الظلم حتّى على هواء المدينة.

تودّع قبور الشهداء وترثي رفاتهم الطاهر، وتعتذر، فلا مكان للملائكة خارج حمصها. تودّع أرجاء المدينة في يومها الأخير فيها وتختزن الصورة في ذاكرتها وذاكرة كلّ أصدقائها على فايسبوك كي لا يموت الجرح يوماً، كنيسة «أمّ الزنار» بحجارتها السوداء، وجامع «سيدي خالد» مكسوّاً بغبار الحرب، أنفاق المدينة التي حفرتها أيدي المحاصرين وقبر للطيّب الأبّ «فرانس».

عاشت الشاعرة كلّ أيّام الحصار ونقلت يوميّاً مشاهداتها، بعين الشاعرة الثائرة، وعدسة الأنثى العاشقة للأرض، للجدران، وسماء المدينة التي خذلها الكوكب في حصارها.

خرج المحاصرون، ودخل العدوّ الذي قَبِل بالحصار سنتين لردعه من تدنيس أرض المدينة، سنتان من الجوع والقهر والعذابات التي لا تنتهي، لتمسي المدينة القديمة، بكلّ جوانب ذكرياتهم ـ أهلها ـ حلماً مضى.

«سيماف» كما تدعو وئام نفسها، تكتب بعد يومين من خروجها، بكلّ اللوم التي استطاعت كلماتها اختزاله.. نحنا ما صبرنا لآخر لحظة رغم القصف والقهر والجوع والخذلان لتتركونا بلا خيالاتنا حتّى. بلا روحنا حتّى. وكتير مننا ترك إيد أو رجل أو جزء من جسده أو عالأقل تصاوب مننا.. ليه يا ناس تركتوها تروح ليه؟.

الشاعرة الكرديّة السوريّة، ابنة حمص، ترثي أحلام ألفين من أبناء المدينة، حبيبتهم التي منحوها سنتين من عمرهم. ليغرقهم العالم في آخر المطاف في بحر كابوس العودة.

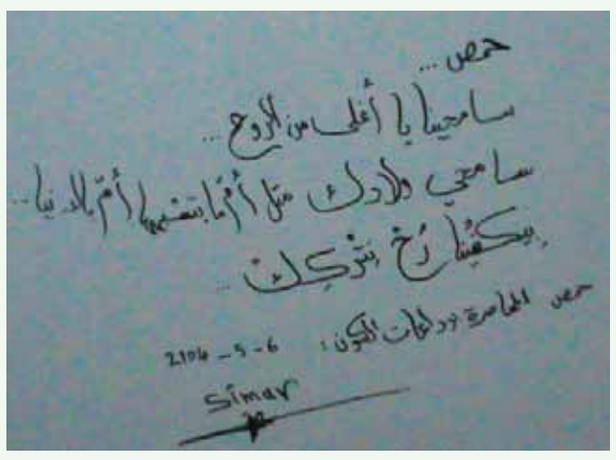

زياد الحمود

مقام القصب

نسيب عريضة

حِمــصُ العَديَّــةُ كُلُّــنا يَهــواكِ ... يا كَعبــةَ الأبطـالِ إنَّ ثَــــراكِ

غِمــدٌ لسـيــفِ اللهِ في مَثــواكِ ... ولكَم لنا من خَشعةٍ وسُجــودِ

في هَيكلِ النَجوى ومن تَمجِيدِ

عاصِيــك كَونَــرُنــا لنــا في وِردِهِ ... طَعــمُ الخُلودِ ونَكهــةٌ من شَهدِه

هيهــاتِ يومــاً نَرتــوي في بُعــدِهِ ... وَنَبُــلُّ حُرقــةَ أضــلُعٍ وكبــــودِ

إلّا بسَلسَلِ مائِهِ المَفقود

يا دهرُ قد طالَ البُعــادُ عن الــوطن ... هل عَـودةٌ تُرجى وقد فـات الظَعَن

عُد بي إلى حِمص ولو حَشوَ الكَفَن ... واهتِــــف أتيتُ بعاثِــرٍ مَـردودِ

واجعَل ضريحي من حِجارٍ سُودِ

يا جــارَةَ العــاصي إليــك قــد انتهى ... أمّــلي وأنتِ المُبتَــغى والمُشــتَهى

قلبي يَــرى فيــك المَحاسِــنَ كلَّــها ... وعلى هَــواكِ يَدِيــنُ بالتَوحيــدِ

يا حِمصُ يا أُمَّ الحِجارِ السُودِ

لكلّ مقام مقال

وداد الشيخ

هيا لنؤرّخ تاريخ السعادة

هيا لنؤرّخَ تاريخ السعادة ببلادِنا

لنبدأ بالمُدن التي احتضنتنا وحفظت صدى خطواتنا على أرصفتها، المُدن التي تصيغُ من حادثة حبّ صغيرة ذاكرة جمعيّة لبلدٍ بأكمله، المدن التي لا تشيخ مثلنا ولا يبيضُّ شعرها ويشيب، المدن التي لا تحتاج لتناول أدوية بروفين لتسكين ألام الأسنان والذاكرة.

هيّا لنؤرّخ تاريخ السعادة ببلادنا

ولنبدأ بلوحة على حائطٍ قديمٍ من جدران حلب، لوحة تدوّنُ تاريخ بدء الحياة.. تاريخ السعادة مرَّ من هُنا.

ولنحطّ كرحّالة مغامرٍ بأطرافِ حمص.. حيث منبع الجمال هناك، مدينة كأزهار بريّة لم يحطّ عليها غبار القصف بعد، ستفاجئك بابا عمرو وهي ترفع الستارة عن رغبة قويّة بالحياة وسط الأنقاض، ستهتف لجارك اللاجئ..

حيٌّ من أحياء حمص كـافٍ ليدلّل أنّ منبع السـعادة كان من هـذه البـلاد.. من بابا عمرو.. القصير.. لحيّ القصـور، من هنـاك يتـدفّق الشـعر منذُ تربّعت جوليـا دومنا على عرش العالم قادمة من حمص.

هيا لنؤرّخ تاريخ السعادة ببلادنا

لنستنشق كالعميان تفتُّح الياسمين بدمشق.

حيثُ يُخفي الياسمين منذ الأزل أسـرار العطر والحياة بقارورة صنعها دمشقيّ عاشق للسعادة والحياة، ولن نخرج من تحت تأثير الياسمين حتى نحطّ كحمام مهاجر بباحة المسجد الأمويّ لنرتاح ككلّ الغرباء بباحاته آمنين..

مدينةٌ تقول لك.. ابتسم أنا صدر حنون لك ولغربتك، سنبتعد عن صخب الحمام الرماديّ لمقهى النوفرة بباب توما حيث الحجارة القديمة تغمز لك بطرف عينها إنّ مَن لم يمرّ بهذا الحيّ لم يمرّ بالعالم أجمع.

هيا لنؤرّخ تاريخ السعادة ببلادنا

حيث الشمال سيّد الجهات يتسيّد حقول القمح بالأهازيج الكرديّة، يغنّي ببراءة الأقدمين..

السعادة مرّت بأقدامها الأولى بقلوب هؤلاء الجبليّين من الشمال للجنوب للشرق للغرب سندوّنُ تاريخ البلاد قبل الخراب الكبير، سيمرّ تاريخها كاملاً، مفصحاً عن كلّ الجمال الذي عرفه السوريّون..

جمال أفضى دائماً للسعادة وإن كان اليوم يرزح تحت وطأة الخراب الأسود.

ذلك الخراب الذي يدفعهم للغناء وحيدين..

نحبّها هذه البلاد حتّى في خرابها الأخير.

كلنا سوريون (الملف الشهري)

سيتناول الملفّ المحاور والمواضيع تحت العناوين التالية:

- سرقة الآثار من وجهة نظر القانون.
- من يسرق الآثار السوريّة؟.
- الآثار السوريّة من المسؤول عن حمايتها؟
- وثائق وحقائق وشهادات وصور عن حالة «الآثار السوريّة». وغيرها من المحاور والمواضيع التي تندرج تحت عنوان الملفّ الشهري: «آثار سوريا» ننتظر كتاباتكم ومساهماتكم، حتّى ٢٥ أيّار الحالي، على العنوان التالي:

newspaper@allsyrians.org

سيصدرملف في أول كل شهر عن جريدة «كلّنا سوريون».

اخترنا لملفّ شهر حزيران القادم موضوع «آثار سوريا»، نظراً لأهمّيّة هذا الوجه الحضاريّ وخطورته ضمن مجريات الواقع السوريّ.

نكزة

facebook

- الأسـطـوانـة المـشـروخـة، ذات الكلمات الفجة واللحن المثخن بالرتابة والعفن... هذا الفن ليس سوريا ولا يطرب له غير الحمقى والمغفلين...

نريد أقراننا... أنا سوري

- العالم لا ينحصر على جهتين فقط، بالإضافة لـ فوق وتحت هناك أربعة جهات.... لا أشعر بالانتماء تماما للجهة التي تحيط بي، هناك خطأ ما؟

من صفحة أحمد البرهو

صدر عن دار جداول للنشر والترجمة في بيروت كتاب «التمرّد السوريّ» للدكتور «فؤاد عجمي».

وقد نقله إلى العربيّة المترجم السعوديّ أحمد الشنبري.

ممّا جاء في مقدّمة الكتاب لـ «شارلز هِلْ»:

«العصر الحديث تـزوّد بقدرة غير مسبوقة لرؤية التاريخ البشريّ بكامله، بنظرة واحدة.

سوريا هي موقع القيادة أو كما وصفها «توينبي» الحلبة التي تواجه فيها كلّ القوى بعضها مع البعض الآخر، ويكون لذلك عقابيل في كلّ أنحاء العالم».

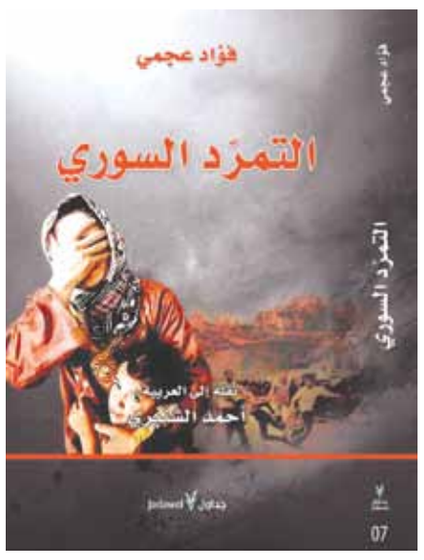

صـدر عـن المركز العربيّ للأبحاث ودراسة السياسات، كتيّب تحت عنوان:

«مسألة أكراد سورية: الواقع - التاريخ - الأسطورة» وذلك في بيروت، كانون الثاني/ ٢٠١٣،

هو كتاب يحاول أن يغوص في عمق المسألة الكرديّة في سورية ويناقشها من مستويات عدّة.

شارك في البحث مجموعة من الباحثين، منهم محمد جمال بـاروت وحـازم نهار ومصطفى حمـزة... تناولوا المسـألة بمنهجيّة عالية، الكتيّب يقدم خدمة معرفيّة وخاصّة لمتابعي الشأن السوريّ عموماً والشأن الكرديّ السوريّ خصوصاً.

سمعنا، شفنا.. وبدنا نحكي

سمعنا..

واحد من أشاوس الثوار، في الاجتماعات الرسميّة يكبّر، ومع الناشطين في الفنادق يدبك، وهذا كلّه لأنه نزل على الثورة بالبراشوت، وما شارك بيوم من الأيام بالحراك الثوري، وبدّو يعوّض الشي اللي فات.. المهم ولأن صاحبنا معه دكتوراه ومرضي عنه من أصحاب الحل والربط، وكمان موعود برئاسة الحكومة وما مشى حاله، وكجائزة ترضية تم تعيينه مدير تنفيذي لمؤسسة من مؤسسات الثورة وحددوا له راتباً شهرياً متواضعاً بـ ٦٠٠٠ دولار بس ولصعوبة الحياة والمعيشة صرفوا له تعويض سكن كمان متواضع بس ١٥٠٠ دولار وفوقهم شي ٢٠٠ دولار كتعويض تنقلات، ولأن صاحبنا مدير تنفيذي وبيده القلم فهو يقيم في فندق ويوقّع على صرف فواتير الإقامة على حساب الإدارة، ومعه حق فهو لا يقيم في عنتاب مقر المؤسسة التي يديرها أكثر من سبعة أيـام، وفعلاً جريمة يستأجر بيت ويدفع إيجارات وفواتير كهرباء وماء وغاز وهو أغلب وقته مسافر. صاحبنا عن جد يستحق خرزة زرقاء ومسبحة كهرمان وما رح نذكر اسمه حتى ما حدا يصيبوا بالعين.

شفنا..

شفنا على صفحات الفيس بوك تقرير صادر عن وحدة تنسيق الدعم، عم تقدم فيه جردة حساب عن الربع الأول من عام ٢٠١٤، صحيح هي حركة كتير ممتـازة، وبوابة نحو الشـفافية، وطريقة حتى يـكون الكل متشـاركين بمراقبـة عمـل هـيك مؤسـسات.

بس يا جماعة الخير التقرير المذكور عم يحكي وبكامل الشفافية إنه قدّم خدمات لـ ١٦٠٠٠٠٠٠ مليون مواطن سوري.

اجتمعنا وحسبناها سوا، بأكثر الأرقام مبالغة بتقول الإحصائيات أن السوريين اللذين تشردوا ونزحوا يبلغ عددهم عشرة ملايين نازح، ولو اعتبرنا الشباب الطيبة في وحدة تنسيق الدعم استطاعوا يوصلوا لكل مواطن سوري معونة محددة ما رح يكون العدد أكثر من ١٠٠٠٠٠٠٠ ملايين شخص.

طيب وين الست الملايين الباقية؟ ما بعرف وأنا عم اقرا هيك تقرير تذكرت كلمة أمي ـ الله يرحمها ـ ولك ابني وقت اللي بدك تكذب الكذبة اكذب كذبة بتتصدق.

بدنا نحكي..

ولأن معركة حلب طولت والشباب بدهم ينهوها ويطووا صفحة، ولأنهم خبراء بالتكتيك العسكري، ما طلع معهم غير يقطعوا المي عن المدينة حتى يركع النظام فيها ويسلم، يمكن ما كانوا بيعرفوا النظام وشبّيحته بالأساس بيشربوا ماء بقين ودريكيش وبأسوأ الحالات ماء نبع السين.

بتتذكّروا يا جماعة الخير: يمكن نحن صرخنا بيوم: «الموت ولا المذلة»... صحيح اعتقلنا ومتنا وتشردنا واندلينا، بس ضلينا نقول بيوم رح نقهر الذلّ ورح نبني سوريا الجديدة، بس انه يجي يوم ويصير عندنا سلطة جزئية ونبدا نحن نذل العباد شغلة ما خطرت ببالنا ولا كان ممكن تخطر!!

الماء هو الحياة ومن يحارب بالماء كمن يريد قتل الحياة.

أفرجوا عن الماء يا أعداء الحياة.

حسين برو

المدير العام
توفيـق دنيـا

هيئة التحرير
بسّام يوسف - حسين برو - بشّار فستق - منير الأيّوبي
غزوان قرنفل - ثائر موسى - عزّة البحرة

فريق العمل
الموقع الإلكتروني : محمّد نجّار
سكرتاريا : نور العبدالله
الترجمة : مها الخضّور

الآراء الواردة في كلّنا سوريّون تعبّر عن رأي الكاتب و لا تعبّر بالضرورة عن رأي الصحيفة

newspaper@allsyrians.org
www.allsyrians.org